عبد الرحمن واصل

عاطفة الحب

بين الإسلام ووسائل الإعلام

الطبعة الثانية — مزيدة ومنقحة

الناشر : مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الثانية

١٤٠٧ هـ — ١٩٨٦ م

دار السوان للطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

الى كل فتى مسلم ..

الى كل فتاة مسلمة ..

الى شبابنا الذين تتكسر عند اقدامهم امواج الفتن العمياء .

الى الذين نعقد عليهم الرجاء فى مستقبل مشرق يضع هذه الأمة فى موقعها الصحيح .

عبد الرحمن واصل

***



مقدمة الطبعة الثانية

فى البدء كان هذا الكتاب فصلا من « مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الاسلامية » ولكنه نزولا على سنة الحياة نما عوده ، وشب عن الطوق ، وأبى الا أن يشق طريقه الى القراء بشخصيته الجديدة ، دون أن يقطع رحمه بالكتاب الأم ..

وها هو بين يدى الشباب يعيش روح عصره ، ليضع النقاط على الحروف فى « قضايا الحب » التى يحار فيها شبابنا ، فى عصر اختلطت فيه المفاهيم ، وشمر فيه دعاة الانحلال لتحطيم ثروة هذه الأمة الغالية . متمثلة فى شبابها من الجنسين .

وانا لنعقد الأمل كل الأمل على شبابنا ليعيدوا الوجه الاسلامى لهذه الأمة ، حتى تعود ــ كما كانت فى أمسها المجيد ــ خير أمة أخرجت للناس .

فان يك صدر هــذا اليوم ولى

فان غــدا لناظره قريب

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

« المؤلف »

* * *



مقدمة الطبعة الأولى

فى الواقع أن هذا البحث فصل من كتاب « مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعةالاسلامية».

وحرصا منى على أن تتاح لجماهير شبابنا المسلم وفتياتنا المسلمات فى طول الوطن الاسلامى وعرضه أن يطلعوا على منهج الاسلام فى هذا الجانب الخطير من العواطف الانسانية — قمت بنشر هذا الفصل فى كتيب خاص .

فمن واقع معاشرتى للشباب من الجنسين كمعلم وداعية، ومن خلال افضاء الشباب الى بمشكلاتهم ومتاعبهم العاطفية ، كدت أقول انه ما من فكرة وردت فى هذا البحث الا كانت اجابة عن سؤال .

وقد استلزم فصل هذا الموضوع عن أصله أن حركنا بعض النصوص عن مواقعها ليخرج فى هذا الثوب القشيب.

« ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب » (١) .

عبد الرحمن واصل

***

---

(١) هود : ٨٨

عاطفة الحب فى التصور الاسلامى

الحب : هو ذلكم الرباط السحرى الذى تتماسك به الأكوان ، انه روضة الحياة واريجها الفواح ، وعطرها الذى تنتشى منه الأرواح .

والحب كلمة واسعة الدلالة « فعلى المحبة فطرت المخلوقات ، ولها تحركت الأفلاك الدائرات ، وبها وصلت الحركات الى غاياتها ، واتصلت بداياتها بنهاياتها ، وبها ظفرت النفوس بمطالبها وحصلت على نيل مآربها ، وتخلصت من معاطبها » (١)

واننى أعنى بالحب هنا ، الحب بين فتى وفتاة ، بين رجل وامرأة .

والحب من العواطف الانسانية المركوزة فى الفطرة البشرية ، لتمد هذا الكون بأسباب الحياة .

يقول الله عز وجل : **« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب » (٢) .**

ففى هذه الآية الكريمة اشارة واضحة صريحة الى هذه العاطفة التى وضعت فى الفطرة البشرية نحو النساء ، وجعلت النساء على قمة مشتهيات النفس حقيقة واقعة .

---

(١) روضه المحبين لابن قيم الجوزية .
(٢) آل عمران : ١٤

فالحب بهذا المعنى من العواطف الانسانية النبيلة التى لم يصادرها الاسلام ، ولم يعمل على قمعها داخل النفوس لتولد الكبت .

والله — عز وجل — عندما مزجها بالفطرة البشرية ، وضع لها الضوابط التى تجعلها تنسجم مع الرسالة الكبرى للانسان فى هذا الكون .

اذن أين تجد هذه العاطفة مجالها المأمون الذى تحقق فيه اشباعها دون أن تصطدم بالمنهج الذى وضعه الاسلام لبناء المجتمعات .

على هذا السؤال يجيب الحق تبارك وتعالى بقوله :

« ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٣) .

« هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » (٤) .

وفى هذه الاجابة التى وصلت الى قمة البلاغة والاحساس بخلجات النفس الانسانية ومشاعرها — نرى تصحيحا لما تضمنته الأسطورة اليونانية التى ضلت سبيلها فى الوصول الى الحقيقة الخالدة .

تقول الأسطورة : « ان كل فرد من أفراد النوع الانسانى كان فى نشأته الأولى مزيجا متآلفا من ذكر وأنثى ، ولأمر ما

---

(٣) الروم : ٢١ (٤) الأعراف : ١٨٩

غضب الاله « زيوس » على هذه المخلوقات الغريبة فشطر كل مخلوق الى شطرين وقذف بكل شطر الى بقعة بعيدة من بقاع الأرض الواسعة العريضة ، ومنذ ذلك الحين يسعى كل نصف ليبحث عن نصفه الآخر ، وكل ذكر ما يفتأ باحثا عن أنثاه ، وهكذا نشأ الحب بين أفراد النوع الانسانى .. وترمز هذه الأسطورة الى أن الحب جو عاطفى يتجه نحو الخارج ليسعد الذات فى تكاملها » (٥) .

ومواكبة لهذه الحقيقة القرآنية يقول النبى — صلى الله عليه وسلم — « أنما النساء شقائق الرجال » (٦) .

فكل من شقى النفس البشرية يظل قلقا حائرا يبحث عن انسان يشيع الطمأنينة فى نفسه ، ويسكب الأنس فى قلبه حتى يعثر على شقه الآخر ليجد فى ظله التوحد الأول ، فتهدأ النفس بعد اضطرابها ، ويأنس الجسم الى الراحة والقرار.

واعترافا بهذه العاطفة السامية ومكانتها فى الدين القيم يقول النبى — صلى الله عليه وسلم — « حبب الى من الدنيا النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » (٧) .

هل تأملت لفظ « حبب » انه يحاكى لفظ « زين » أى أن الحب وميل كل من الجنسين الى الآخر مشاعر وعواطف مزجت بالفطرة الانسانية دون ارادة للبشر فيها .

وعن الميل القلبى الذى يواكب عاطفة الحب يقول —

---

(٥) الأسس النفسية للنمو د. فؤاد البهى
(٦) رواه أحمد وأبو داوود
(٧) رواه أحمد والنسائى

صلى الله عليه وسلم — فى مجال العدل بين نسـائه : « اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » (٨) .

فالذى يملكه رسول الله هو العدل بين نسائه فى النفقة والمبيت وسائر الحقوق المادية والذى لا يملكه هو الميل القلبى.

وهكذا نجد أن الاسلام أحل هذه العاطفة أسمى مكانة وأشرف منزلة اذا التزمت بالمنهج السماوى فى ارواء ظمئها وقضاء وطرها .

* * *

(٨) رواه ابو داوود والترمزى

النبى المحب المحبوب

واذا أردنا أن نضع نموذجا رفيعا يمثل هذه العاطفة فى قمة صفائها فاننا على الفور سنتوجه الى صاحب الشخصية الجامعة شخصية رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صاحب القلب المرهف ، والمشاعر الحساسة ، فقد كانت حياته مع زوجاته وبخاصة زوجه خديجة قصيدة من قصائد الحب والوفاء .

ولم أدرك العمق العميق لهذا الحب السامى الا عندما حاولت صعود جبل حراء — الذى يبعد عن مكة بثلاثة أميال — وكأنه جبل فوق جبل حيث الغار الذى كان ينقطع فيه النبى — صلى الله عليه وسلم — عن الناس فى رياضته الروحية متأملا متعبدا ، وعندما كانت السيدة الفضلى ذات الخلق العالى يدفعها الشوق الى الاطمئنان على هذا الحبيب الذى يسامر الكون فى تأمل خاشع ، فتتجشم مشقة صعود هذا الجبل الوعر الذى يتطلب من صاعده أن يجلس للاستراحة مرات قبل أن يصل قرب قمته السامقة حيث ذلك الغار .

وقد تلعب بها الظنون خوفا على حبيبها من أهوال الصحراء ، فربما أرسلت وراءه دون أن يدرى من يحرسه ويرعاه .

واذا كان الله — عز وجل — قد اصطفى محمدا من خير خلقه ، واصطفى له صحابته لنشر دعوته ، فان الله قد اختار له حبه الأول « خديجة » .

اختارها الله لتكون معه فى خطوط المواجهة الأولى حيث الأذى والاضطهاد ، وحيث المؤامرات التى تبيت بليل للقضاء على هذه الدعوة بل اجهاضها فى مهدها . حتى لا ترى النور .

وقفت تؤازره لتشحذ من طاقته وتمد اليه يدها الحانية لتزيل عن فؤاده المعنى ما انتابه من آلام وأحزان تعيا بحملها الجبال الراسيات .

وتتحدث السيرة عن هذه الحقائق فيقول ابن اسحاق :

« كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له ، الا فرج الله عنه بخديجة — رضى الله عنها — اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت — رضى الله عنها » (١) .

وهذه العلاقة المتميزة بين النبى وزوجه دفعت رجلا كـ « درمنجم » ليتحدث عن خديجة الحبيبة والزوجة عندما عاد زوجها من غار حراء : « خائفا مقرورا ، أشعث الشعر واللحية غريب النظرات ، فاذا بها ترد اليه السكينة والأمن ، وتسبغ عليه ود الحبيبة ، واخلاص الزوجة وحنان الأمهات وتضمه الى صدرها فيجد فيه حضن الأم الذى يحتمى به من كل عدوان فى الدنيا » (٢).

وبعد أن انطوت هذه الصفحة المضيئة من حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — وهوى ذلك الكوكب من سماء حياته ، كان جديرا أن يسمى العام الذى لحقت فيه بالرفيق الأعلى عام الأحزان .

قال ابن اسحاق : « ثم ان خديجة بنت خويلد وأبا طالب

---

(١) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٣٤

(٢) حياة محمد لدرمنجم ترجمة الأستاذ عادل زعيتر

هلكا فى عام واحد ، فتتابعت على رســـول الله ــ صـــلى الله عليه وسلم ــ المصائب بهلك خديجة وكانت له وزير صـــدق على الاسلام يشكو اليها » .

وما كانت ليد الزمان أن تنال من مكانة هذا الحب فى قلب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقـــد كانت رقية أشـــبه بناته بأمها خديجة فكان يطيل اليها النظر ويطيل معها الحديث.

ولقد كان يسمع صوت أختها « هالة بنت خويلد » فيثير صوتها مشاعره ويذكره بالماضى البعيد لأنه كان شبيها بصوت خديجة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة ــ رضى الله عنها ــ على رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال : « اللهم هالة بنت خويلد » (٣) .

أما عائشة ــ رضى الله عنها ــ فقد أحبها حبا عرفه كل أصحابه ، حتى ان عمر رضى الله عنـــه عندما تولى الخـــلافة فرض لأمهات المؤمنين من بيت المال عشرة آلاف وزاد عائشة الفين ، وقال : انها حبيبة رســـول الله ــ صـــلى الله عليـــه وسلم . .

وكان الصحابى « مسروق » اذا حدث عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ يقول : حدثتنى الصديقة بنت الصديق ، حبيبـــة رسول رب العالمين ، المبرأة من فوق سبع سموات .

وتحدثت السيدة عائشة معتزة بهذا الحب وبتلك المـــكانة

---

(٣) رواه مسلم .

فى قلب النبى فقالت : « اعطيت تسعا ما اعطيتهن امــراة : لقد نزل جبريل عليه السلام — بصورتى فى راحته حين امــر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يتزوجنى ، ولقــد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ، ولقد توفى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وان راسه لفى حجرى ، ولقد قبر فى بيتى ، ولقد حفت الملائكة بيتى وان كان الوحى لينزل عليــه وهو فى أهله فينصرفون عنه ، وان كان لينزل عليه وانا معــه فى لحافه فما يبيننى عن جسده وانى لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقت طيبة وعند طيب ، ولقــد وعدت مغفرة ورزقا كريما تعنى قــوله تعالى : « **لهم مغفــرة ورزق كريم** » وهو الجنة (٤) .

ورغم هذا الحب لعائشة ، فانه لــم ينس حبه الأول — حبه لخديجة — رضى الله عنها — وظل وفيا لهذا الحب يرويه من ينابيع الوفاء .

فعن عائشة — رضى الله عنها — قالت : « ما غرت على أحد من نساء النبى — صلى الله عليه وسلم — ما غرت على خديجة — رضى الله عنها — وما رأيتها قط لكن كان يكثر مــن ذكرها ، وربما ذبــح الشاة ثم يقطعها أعضــاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة فربما قلت له : كأن لم يكن فى الدنيا امــراة الا خديجة ، فيقول : انها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد »(٥).

وفى يوم الفتح الأكبر فتح مكة .. اليوم الــذى تدور فيه

---

(٤) القرطبى — الجامع لأحكام القــرآن ١٢ / ٢١٢ — والآية من سورة الأنفال : ٧٤ .
(٥) متفق عليه

الرؤوس غرورا من نشوة النصر يذكر النبى — صلى الله عليه وسلم — مغنى هواه ، وحبه الذى ودع الحياة منذ عشر سنين فيأمر اصحابه بعد أن استشاروه فى أحب مكان يريد النزول فيه ، يأمرهم أن يضربوا له قبة أمام قبر خديجة .

وهكذا لم تشغل الدعوة بأثقالها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن أن يكون ذا قلب محب عطوف .. صلاة وسلاما عليك أيها النبى المحب الوفى .

* * *

احترام الاسلام لعاطفة الحب
بين الزوجين

الأصل فى بناء الأسرة فى الاسـلام هو الديمـومة والثبات والاستقرار ، ولذلك فان الاسلام يحرم الزواج المؤقت « زواج المتعة » ويضع الضوابط لاختيار الزوجة ، حتى تؤدى الأسرة رسالتها فى بناء المجتمع دون هزات تعصف بمستقبلها .

وفى سبيل الحفاظ على هذا الصرح تولى الله — عز وجل — بنفسه وضع أساليب معالجة النشوز سواء أكان من جانب الزوج أم من جانب الزوجة وذلك حتى تنقشع السحب المتلبدة فى سماء الحياة الزوجية ويعود الجو صحوا صافيا .

وقـد تكون آلية الحياة بين الزوجـين قد افقدت كلا من الطرفين الاحساس بالطرف الآخر ، فتدب الخلافات ويكـون الطلاق ، هنا يمنح الاسلام الأسرة بعد الطلقة الأولى والثانية مساحة زمنية كافية لايقاظ العواطف ، واذابة الجليد الـذى اصاب الحياة الزوجية بالجمود ، حرصا من الاسلام على عدم هدم الأسر وانحراف الأطفال وتشريدهم .

قال رجل لعمر بن الخطاب : اريد أن أطلق امراتى . فقال له عمر : لم ؟ قال : لا احبها. فقال له : أو كل البيوت بنى على الحب ؟ فأين التذمم والوفاء !

عمر — رضى‌الله عنه — يقول لهذا الرجل وكل رجل يتأتى منه هذا الفهم : ليس من رعاية الذمة وليس من الوفاء بالعهد أن يتمتع الزوج بزوجته وهى غضة الاهاب ثم بعد ذلك يلفظها لفظ النواة .

وروى ابـن مردويه ان ابا أيوب اراد طـلاق ام أيوب ،

فاستأذن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال أنس : فقال له الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « ان طلاق أم أيوب لحوب » أى اثم ، فأمسك امرأته ولم يطلقها .

ولكن اذا جفت منابع هذه العاطفة ، واستحالت الحياة الزوجية الى جحيم ، وفشلت جميع وسائل التوفيق بين الزوج وزوجته كان آخر الدواء التفريق .. **« وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما » (١) .**

وسواء أكان تمرد هذه العاطفة من جانب الزوج أم من جانب الزوجة .

ولعل سائلا يسأل فيقول : اذا تغيرت عاطفة الزوج نحو زوجته بهذه الصورة التى تستحيل معها الحياة الزوجية فانه يستطيع التخلص من زوجته بالطلاق فماذا تصنع الزوجة ؟

أقول بوضوح : ان الاسلام احترم مشاعر المرأة نحو زوجها تماما كما احترم مشاعر الرجل نحو زوجته وحذر فى محكم كتابه من الاضرار بالمرأة واكراهها على الحياة مع رجل لا تطيق الحياة معه فقال تعالى :

« ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » (٢) .

وقد أكدت السنة هذا المبدأ الذى جاء به القرآن ويظهر ذلك جليا فيما نعرضه فى هذا المقام .

---

(١) النساء : ١٣٠ (٢) البقره : ٢٣١

« رفعت زوجة ثابت بن قيس جانب خبائها فرأت زوجها مقبلا فى عدة من صحبه فاذا هو أشدهم سوادا ، وأقصرهم قامة ، واقبحهم وجها فحرك هذا المشهد مشاعر الكراهية التى كانت مترسبة فى أعماقها منه ، وعلى الفور تركت بيته وذهبت الى بيت أهلها .. ومع خيوط الفجر الأولى كانت واقفة عند بيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم تتمهل حتى يؤدى الرسول — صلى الله عليه وسلم — صلاة الصبح وقالت: يا رسول الله ، ثابت بن قيس ما اعتب عليه فى خلق ولا دين — تعنى أنه رجل غير متهم فى خلقه أو دينه — ولكننى اكره الكفر فى الاسلام — أى اكره الكفر فى عشرته — فأحيل حياته جحيما ولايسعنى أن أقوم بحقوق الزوجية التى لاتؤدى الا بعاطفة المودة والرحمة بين الزوجين . فقال لها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « اتردين عليه حديقته » ؟ أى التى دفعها مهرا لها . قالت : نعم : وان شاء زدته . فأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثابت بن قيس أن يطلقها ، وقال له « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » (٣) .

وهذا مشهد آخر يؤكد منهج الاسلام فى هذا المجال :

كان مغيث عبدا فى بنى مخزوم ، وكانت بريرة أمة تعمل فى خدمة عائشة — رضى الله عنها — وشاءت الأقدار أن تجمع بين مغيث وبريرة تحت سقف واحد فى زواج فيه الحب من طرف واحد .. مغيث موله فى حب بريرة ، وقلب بريرة يأبى أن ينسكب فيه حب مغيث ، والقلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء .. ويأتى اليوم الذى تعتق فيه بريرة ، ويصبح لها الحق فى أن تنعتق من هذا الرباط الذى جمع بينها وبين رجل قلبها

---

(٣) رواه البخارى ومالك فى الموطا وآخرون .

فى غطاء عن حبه . وتصر بريرة على فراق مغيث ولكن حبهـا ملك عليه أقطار قلبه حتى انه ليذرع طرق المدينة خلفها وهـو يذرف من عينيه الدمع الهتون علها ترحم عبرته وترد لهفته .. وعبثا تذهب دموعه .

وينطلق مغيث الى العباس عم النبى — صلى الله عليـه وسلم — يرفع اليه شكواه ليوسط النبى — صلى الله عليـه وسلم — لعله يشفع له عند حبيبه المتأبى عليه وغزاله الشارد من بين يديه .. ويرق النبى — صـلى الله عليه وسـلم — ويحرك هذا المشهد مشاعره فيقول للعباس عمه : « يا عباس الا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثـا » ؟ ويكلم النبى — صلى الله عليه وسلم بريرة فى شأن مغيث .

فقال لها : « لو راجعته فانه ابو ولدك » ؟ .

قالت : يا رسول الله ، تأمرنى ؟

قال : انما أنا أشفع .

قالت : لا حاجة لى فيه (٤) .

فأى تكريم هذا الذى كرم به الاسلام المرأة ؟ وأى ديـن هذا الذى يقيم للعواطف هذا الوزن فى أخطر أمور الحياة ؟ .. انه ديننا القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

* * *

---

(٤) متن الحديث رواه البخارى وابن ماجه واللفظ له .

المرحلة الحرجة فى حياة الشباب

ومرحلة المراهقة التى يمر بها كل فتى وفتاة .. هى مرحلة التهاب المشاعر ، وثورة العواطف .. فترة الأحلام الوردية ، والخيال المجنح ، والنظرة الحالمة .

وما أن تتفتح عيون الشباب وأسماعهم فى هذه المرحلة على أغانى الحب الخليعة ومسلسلات الحب الساقطة وأفلام الحب التى تثير الغرائز الكامنة حتى يظل الفتى شارد الفكر ، سليب القلب .. أجهزة التخريب تضغط على أعصابه من الخارج ، والحنين الفطرى الى الجنس الاخر يدفعه من الداخل .

ويظل الفتى أو الفتاة فى شرود . . كل منهما يفكر .. ويسبح فى بحار من أحلام ليس لها شطآن ، يريد أن يجرب ويبدأ فى تسجيل الأغانى وحفظها ويشترى كتبا رخيصة تحمل بين دفتيها خطابات الغرام وعبارات العشق والهيام ، ويحفظ بعض العبارات المعسولة وينصب شباكه واذا فى شباكه تقع فتاة ، و :

لكل ساقطة فى الحى لاقطة
وكل كاسدة يوما لها سوق

ومن هنا تبدأ حكاية حب ، وتظهر على المتيم اعراضه .. سهر . أرق .. اضراب عن الطعام .. أحلام يقظة . انصراف عن الاستذكار والتحصيل .

وكما عبر « حماد الراوية » عندما سئل عن الحب فقال :
« الحب شجرة اصلها الفكر ، وعروقها الذكر ، اعضاؤها السهر ، واوراقها الاسقام ، وثمرتها المنية ».
أو كما قالت الاعرابية :

« مسكين العاشق .. كل شيء عدوه ، هبوب الريح يقلقه ، ولمعان البرق يؤرقه ، ورسوم الديار تحرقه ، والعذل يؤلمه ، والتذكر يسقمه ، والبعد والقرب يهيجه ، والليل يضاعف بلاءه ، والرقاد يهرب منه ... »

ويعيش « قيس » يترقب خطى « ليلى » ، ان غابت عنه تحولت الدنيا فى عينيه الى ليال ليس لها أسحار ، والى ظلمات لا يتخللها أنوار .

وتبدأ الكلمات ، وتكتب الخطابات ، وتحدد اللقاءات ، وتتبادل الصور ، وهنا بداية الانحراف بل بداية السقوط ، بل بداية النهاية فى مستقبل الحبيبين المتيمين معا .

يقول الحكماء :

« ان سقوط المرأة يبدأ من الساعة التى تجرىء فيها الرجل بسكوتها على مغازلته لها » .

هذا الحب هو ما يسمى « بحب المراهقين » أو « حب التلامذة » .

ولا يجنى الفتى أو الفتاة من ورائه الا تشتيت الذهن ، وتبديد الطاقة ، والسهر والدموع ، وبالتالى الانصراف عن التحصيل وتحطيم المستقبل على صخرة العاطفة الهوجاء .

● ● ●

● الشباب وجنون العاطفة :

هذا الفتى الذى سار فى هذا الطريق ، قد حكم على مستقبله بالضياع ، فان كان الحب من طرفه وحده فيالشقائه

وعذابه ، وان بادلته ليلى مطارحات الهوى ومساجلات الغرام كانت الكارثة التى ينتهى اليها كل حب من هذا القبيل .

ولقد اعجبنى هذا الشاعر الشاب القوى العزيمة الذى لم يجعل لهذه الافكار السقيمة سلطانا على قلبه وعقله ، فتشغله عن الوصول الى قمة المجد التى ينشدها فيقول :

سـلام على من تيمتنى بظرفها
ولمعـة خديها ولمحـة طرفها

سـبتنى واصبتنى فتـاة مليحة
تحيرت الأوهـام فى كنه وصفها

فقلت ذرينى واعذرينى فـاننى
شغفت بتحصيل العلوم وكشفها

ولى فى طلاب العلم والفضل والتقى
غنى عن غناء الغانيات وعرفها

وهذا الذى اراد الحب أن يتسـلل الى قلبه فى غفلة من عقله فيزجر قلبه قائلا :

وقلت لقلبى حـين لـج به الهوى
وكلفنى مـا لا أطيـق من الحب

الا أيها القلب الذى قاده الهـوى
أفـق لا أقر الله عينك مـن قلب

ويقسم ابن القيم العشق ثلاثة اقسام فيقول :

« عشق هو قربة وطاعة ، وهو عشق الرجـل امـراته وجاريته ، وهذا العشق نافع ، فانه ادعى الى المقاصـد التى

شرع الله لها النكاح ، واكف للبصر والقلب عــن التطلــع الى غير أهله ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس » .

« وعشق هو مقت عند الله وبعد من رحمته .. وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المردان « الذكور » فما ابتلى به الا من سقط من عين الله وطرده من بابه وأبعــد قلبه عنه ، وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله كما قــال بعض السلف : « اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبــة المردان » . وهذه المحبة هي التي جلبت على قــوم لوط مــا جلبت وما أتوا الا من هذا العشــق اذ قال الله تعــالى : **« لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون »** (١) .

« ودواء هذا الداء : الاستغاثة بمقلب القلوب وصــدق اللجأ اليه ، والاشتغال بذكره والتعوض بحبه وقربه ، والتفكر بالألم الذي يعقبه هذا العشق واللذة التي تفوت به ، فيترتب عليه فوات أعظم محبوب وحصول اعظم مكروه فاذا أقــدمت نفسه على هذا أو آثرته فليكبر على نفســه تكبير الجنــازة وليعلم أن البلاء قد أحاط به .

« والقسم الثالث من العشق : العشق المباح الذي لايملك كعشق من صورت له امرأة جميلة أو رآها فجاة من غير قصد فأورثه ذلك عشقا لها ، ولم يحدث له ذلك العشــق معصــية فهــذا لا يمــلك ولا يعــاقب عليــه ، والأنفع له مدافعتــه والاشتغال بما هو أنفع له منه والواجب على هذا أن يكتم وأن يعف ويصبر على بلواه ، فيثيبه الله تعالى على ذلك ويعوضه على صبره لله وعفته وترك طاعة هواه وايثار مرضاة الله وما عنده » .

---

(١) الحجر : ٧٢

وعن الاسترسال مع هذا النوع الثالث يقول ابن عقيل :
« العشق مرض يعترى النفوس العاطلة والقلوب الفارغة ، والمتلمحة للصور ، لدواع من النفس ويساعدها ادمان المخالطة فتتأكد الألفة ويتمكن الأنس فيصير بالادمان شغفا ، وما عشق قط الا فارغ فهو من علل البطالين وأمراض الفارغين من النظر فى دلائل العبر وطلب الحقائق المستدل بها على عظم الخالق » .. ويتحدث عن ضرر العشق فيقول :

« وأما ضرر العشق فى الدنيا فانه يورث الهم الدائم ، والفكر اللازم ، والوسواس والأرق ، وقلة المطعم وكثرة السهر ، ثم يتسلط على الجوارح فتنشأ الصفرة فى البدن ، والرعدة فى الأطراف ، فالرأى عاطل ، والقلب غائب عن تدبير مصلحته ، والدموع هواطل ، والحسرات تتابع ، والزفرات تتوالى ، والأنفاس لا تمتد » .

وصدق القائل اذ يقول :

العشق مشغلة عن كل صالحة
وسكرة العشق تنفى سكرة الوسن

وانني أسأل هذا الشاب : كيف يستبيح لنفسه أن ينشىء علاقة محرمة بفتاة لا تحل له ؟ الم يعلم بأن هذا يغرى أخواته بالفساد اذا اكتشفن هذه العلاقة ؟

وهى لا بد أن تكشف مهما حاول أن يسدل عليها ستائر كثيفة من الاخفاء والتمويه .

ماذا يكون شعوره لو علم أن أخته أو احدى قريباته على علاقة بشاب آخر ؟

هل سيثور ويفور ، ويرغى ويزبد ، ويقيم الدنيا ولا يقعدها ؟ أم انه سيتعامى ويغمض عينيه عما يجرى حوله ؟.

أعتقد أن روح الشباب المتوقد فيه ، ونخوة الرجولة المتأصلة فى نفسه ، ومشاعر الغيرة على عرضه ، لن تجعله يدع هذه القضية لتمر بسلام .

اذن . كيف يحل لنفسه ما يحرمه على غيره ؟

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم

لقد جاء فتى الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : يانبى الله : اتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به — فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — « قربوه .. أدن » — فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم : « اتحبه لأمك » ؟ قال : لا . جعلنى الله فداءك . قال : « كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك » ؟ قال : لا . جعلنى الله فداءك ، قال : « كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك » ؟ وزادت بعض الرويات أنه ذكر العمة والخالة ، وهو يقول فى كل واحدة : لا ، جعلنى الله فداءك — فوضع الرسول — صلى الله عليه وسلم — يده على صدره وقال : « اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه وحصن فرجه » فلم يكن شىء أبغض منه : يعنى الزنا (٢) .

وبهذا الأسلوب التربوى المقنع الهادى ، اجبت تلميذا يسألنى : اننى أحب فتاة حبا بريئا . فقلت له : اتحب أن يحب

---

(٢) رواه أحمد باسناد جيد ورجاله رجال الصحيح .

احد اختك حبا بريئا ؟ فاجاب لا : فقلت له : كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم .

يقول الاستاذ محمد قطب فى كتابه التربية الاسلامية :

« فحين يقول انسان لنفسه : اننى أحس فى أعماقى بحنين الى الجنس الآخر ورغبة قوية فى اللقاء بأحد افراده ، والامتزاج معه ، والافضاء اليه ، والاتحاد الكامل معه حتى كاننا شخص واحد لا شخصان منفصلان .

«هذا الاحساس ليس عيبا فى ذاته ولا قذارة ، انه فطرة الله التى فطر الناس عليها ، كل الرجال وكل النساء يشعرون بهذا الحنين وهذه الرغبة ، ولا بد أن يشعروا بها ليحققوا غاية الحياة ويحفظوا النوع على وجه الأرض .

«والتركيب الجسمى يشير الىهذه الوظيفة ففسيولوجياته وبيولوجياته وكيماوياته كلها مهياة للقيام بهذه الوظيفة على وجهها الأكمل ، لتنتج اجيالا جديدة من الحياة ، وهو أمر لا يتم بغير لقاء زوجين .

« وحين أحس بهذا الاحساس وهذا الميل ، فانا سائر مع الفطرة فى اتجاهها السليم .

« ولكن ليس معنى هذا أن يكون التفكير فى مسائل الجنس هو شغلى الشاغل وهمى المقعد المقيم ، فالحياة ليست جنسا خالصا ولا هى محصورة فى هدف واحد .. ان على تبعات اخرى تجاه نفسى وتجاه الناس .

«ان على أن اتعلم ، وعلى أن انجح وانتج ، وعلى أن انظر فى أمر المجتمع أسائر هو على ما ينبغى له أم منحرف عن سبيله وما اسباب انحرافه وعلى ان أقوم بدورى فى تقويمه من انحرافه .

« وعلى ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر وقد يصيبنى من الناس اذى وانا اقوم بهذا الواجب فينبغى أن اجند نفسى على احتمال الأذى وأجند نفسى لمقاومة الشر ، وعلى أن اقوم بدورى الايجابى فى هداية الناس الى الحق ، وخير وسيلة لذلك هى (القدوة) فينبغى ان أكون انا بذاتى قدوة حسنة والا فلا قيمة لكل ما أقوله وانا أقول للناس ان الذى يفسدهم هو انحرافهم فى طريق الشهوات فلأكن انا المثل فى عدم الانحراف مع الشهوات .

« وكذلك ليس معنى هذا أن اخطف فتاة لأقضى معها رغبة جنسية ، فهذه الفتاه ليست لى ، لا أملكها لنفسى حتى أتصرف فى شأنى وشأنها على هذا الوضع . ان لها عرضا يكافىء عرضى لا يجوز لى أن ادنسه . اننى احب أن يكون عرضى نظيفا طاهرا لم يدنسه شىء فلأحافظ على عرض هذه الفتاة كذلك وانى احب حين تكون لى زوجة أنتكون نظيفة، أن تكون خالصة لى بروحها وجسمها جميعا ، فلأترك هذه الفتاة اذن نظيفة لمن ستكون زوجا له ، فلأتركها له خالصة كما أحب أن تكون زوجتى لى خالصة .

« ولو انها رضيت رضاء بأن أقضى معها رغبتى الجنسية أو دعتنى هى الى ذلك فلا فارق . انه لا يجوز لى . انها كالحارس الذى يدعو الناس الى سرقة المال الذى يحرسه فذلك لا يعطى الناس الحق فى السرقة لان الحارس لا يملك المال فى الحقيقة .

« وهذه الفتاة الحارسة على عرضها لا تملك التصرف فيه ولا دعوة الناس الى اغتصابه .. انه ليس عرضها وحدها ، انه عرضها وعرض والديها وعرض اسرتها وعرض مجتمعها وعرض الانسانية ، انه عرض الامانة التى ائتمن الله عليها

البشر . وينبغى أن يردوا له الامانة نظيفة كما تلقوها ، كاملة كما تسلموها الا بحقها الذى نص عليه صاحب الحق » .

وأخيرا اهمس فى اذنك بهذه الحكمة :

« الباحث عن صيد المجد لا يبحث عن صيد النساء ».

***

● **الفتاة التى تلعب بالنار :**

وهذه الفتاة التى رضيت أن تسلك هذا الطريق الوعر الحافل بالمخاطر والاشواك التى يمكن أن تمزق عنها ثياب العفة .

كيف تلعب بالنار التى تحرق سمعتها وتدمر مستقبلها !!

أما علمت أن شرف الفتاة كالثوب الأبيض ، وهذه العلاقة تظل نقطة من مداد أسود فى ثوب شرفها الناصع البياض ؟

أما علمت أن الحياة مليئة بالخداع والمكر حافلة بالذئاب الماكرة فى لباس البشر ؟

ايتها الفتاة :

ان فيك الرقة ، وفيك الوداعة ، وفيك البراءة ، وفى قلبك الرقيق ينابيع الحب والرحمة والحنان .. لا تمنحيها لأول طارق واحتفظى بها وادخريها لزوجك ، لفارس احلامك ، لأسرتك التى لا تقوم الا على هذه العواطف النبيلة ..

لا تصدقى كلام الأفلام والمسرحيات والأغانى فانها « اكل عيش » .

فهؤلاء يبنون ناطحات السحاب على أنقاض صروح الفضيلة ويرفلون فى أثواب الترف ويتقلبون فى أحضان النعيم اذا انهارت الأخلاق ، وسادت الرذيلة ، وراجت متطلبات الدعارة ، هؤلاء الذين ترينهم يمثلون أمامك أدوار الحب والغرام من أتعس خلق الله وأشقاهم فى واقع الحياة .

كحامل لثياب الناس يغسلها
وثوبه غارق فى الرجس والنجس

ان الفتاة التى تراسل الفتى أو تعطيه صورا فكأنما تهديه حياتها ومستقبلها .. وهى الوسائل التى تمكنه من ابتزازها تحت ضغط ادلة الادانة التى تحفظ عليها، وربما دعته الظروف الى اشهار هذا السلاح فى وجهها ، لينتقم منها ويشهر بها ويهدم صرح حياتها ، والفشل فى الحب يصنع الكوارث ..

هذا الفتى الذى يرسل اليك الخطابات يشكو فيها حرقة الجوى ولوعة النوى ، ويصف فيها ورد الخدود ، ورمان النهود ، واغصان القدود .. احذريه .

انه ذئب ماكر فى ثوب محب ولهان .. يتسلى بك ويضحك عليك ، ويتخذك متنفسا مؤقتا لعواطفه ..

انه يضع طعمه فى الشبكة والفخ — وطعمه الألفاظ المعسولة ، وتكلف البطولة ، والمفاهيم المزيفة باسم التحرر والانطلاق والتمتع بالحياة والتفكير العصرى .

انه بطعمه هذا يحاول ان يستغل براءتك ليخدر احاسيسك ومشاعرك ، ليحصل على اقصى ما يستطيع من متعة رخيصة ليمضى هو خفيفا .. ثم تروح السكرة ، وتأتى الفكرة وتنظرين حواليك لتجدى جيوش الفضيحة والعار تهزك بعنف وتحيط بك من كل جانب ..

هذا المحب ، الذى سهر الليالى ، وعد النجوم ، وشكا همومه الى النسيم ، واخلصت له « ليلاه » واعطته جسمها وعرضها ..

هذا الثعلب الماكر لو قدر له أن يخطب عروسا فى اليوم التالى لتكون زوجا له وأما لأولاده — لما اختار مثل هذه زوجة ابدا .

انه سيجتهد فى البحث ..
ويحقق ويدقق ..
ويحلل ويمحص ..
ويسأل ويتحرى ..
يقدم رجلا ويؤخر اخرى .. لماذا ؟
لأنه أصيب بالشك فهو يخاف أن يسقط على انسانة ملوثة كما لوث هو الأخريات .

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدق ما يعتاده من توهم

وهكذا ذهب الحب المزعوم وتبخر وتلاشى مع أول جريمة اقترفها ، أو قبلة اختلسها ، والقى بحبيبة القلب الى عرض الطريق كما يلقى المدخن عقب (سيجارته) بعد أن قضى منها وطره ، واشبع نهمه ليدوسها كل من يمر بها دون أن يلقى لها بالا ...

ويتولى عنها ولسان حاله يقول :

لا تأمن الأنثى حبتك بودها
ان النساء ودادهن مقسم

اليوم عندك دلها وحديثها
وغدا لغيرك كفها والمعصم

او يقول مع القائل :

وان هى اعطتك الليـــان فانها
لآخــر من خـــلانها ســـتلين
وان حلفت لا ينقض النأى عهدها
فليس لمخضـــوب البنـــان يمين

ونتيجة لهذا الحب الارعن تصاب الفتاة بالاحباط ، وتلعن الحب وتلعن معه كل الرجال وتنطوى على نفســـها يطاردها ماضيها الأليم وتجتر ذكريات الأسى ليذيقها الضـــمير ابشـــع الوان العذاب وكأنه وقدات تلذع قلبها .

وربما كان رد الفعل أقوى فتسمم حياتها الزوجية وتنتقم من المحب الهارب فى صورة زوجها المسكين .. وقد تتخلص من هذه الحياة هروبا من مواجهة الحياة .

***

● نماذج من هـــذا الحب :

نشرت صحيفة الأهرام هذا الحادث :

« فتاة تنتحر فى النيل وتترك رسالة تحذير للفتيات من الوقوع فى الحب » .

تقول الصحيفة :

« انتحرت فتاة فى النيل بالقاء نفسها من فوق كوبرى قصر النيل بعد أن تركت قصاصة ورق .. تحذر فيها الفتيات

بعدم الانسياق فى تيار الحب والبحث عن العناصر الصالحة ولا يزال البحث جاريا عن الجثة » .

فقد فوجىء عادل محمد عبده عوض أثناء قيادته سيارة التاكسى فوق كوبرى قصر النيل متجها الى كوبرى الجلاء بفتاة تقفز من فوق سور الكوبرى وتلقى بنفسها فى النيل فأوقف السيارة محاولا اللحاق بها ولكن المياه ابتلعتها ولم يظهر أى أثر لجثتها وعثر فى نفس المكان على قصاصة ورق تركتها بأن اسمها ...... (٢٢ سنة) من عزبة ...... وأنها كانت على علاقة بشاب اسمه (صلاح) ولكنها لم توفق فى حبها بعد أن استطاع التغرير بها ، وحذرت كل الفتيات بعدم الانسياق فى هذا التيار .... وانتقل العقيد محمد ابراهيم مفتش المباحث وأجرى معاينة لمكان الحادث ، واخطرت أجهزة الانقاذ النهرى والشرطة النهرية للبحث عن الجثة كما أخطرت أسرة الفتاة .... » (٣)

ونشرت صحيفة الأخبار هذه الحادثة :

«تقدم والد فتاة عمرها ١٨ سنة بابلاغ النيابة العامة يتهم طبيبا باجهاض ابنته ووفاتها ، بعد نقلها فى حالة خطيرة الى القصر العينى . وأمام محكمة الجنايات برياسة المستشار شاكر تركى وعضوية أحمد حمادة وأنور الجبالى شهدت شقيقة المجنى عليها ، وهى طالبة بالجامعة أن شقيقتها تعمل عاملة سويتش بعيادة أحد الاطباء المشهورين ، ووطد علاقته معها منذ ٦ شهور ، وحملت رغم أنها بكر ، وعند ما أصبحت فى الشهر الرابع توسلت الى طبيب آخر لاجهاضها وليمنع

---

(٣) الأهرام فى ١٩٨٤/١٢/٦

عنها الفضيحة ، فاخذ منها ثمانية جنيهات واجرى لها العملية ، ولكن الفتاة شعرت بآلام حادة وعرضت حالتها على طبيب آخر فحولها للقصر العينى حيث أخرج من بطنها بقية أجزاء من الجنين .. وبعد ١٥ يوما ماتت الفتاة . فحكمت المحكمة بحبس الطبيب سنة مع ايقاف التنفيذ لأن الطبيب حاول اجهاض الفتاة بدافع الانسانية ... » (٤) .

ونشرت جريدة الأهرام هذا الخبر :

« تتهم مطربا بالتغرير بها ، تحت ستار العمل بالسينما »:

« أمرت نيابة الدقى باخلاء سبيل مطرب شاب لاتهامه بالتغرير بطالبة صغيرة بايهامها بالعمل فى السينما بكفالة ٢٠٠ جنيه

وكانت الطالبة قد ابلغت العقيد عاطف المليجى ، مأمور الدقى انها التقت بالمطرب داخل مستشفى الانجلو امريكان ، أثناء ترددها لزيارة احدى قريباتها فى الوقت الذى كان يعالج فيه المطرب ، ونشأت بينهما قصة حب وتعددت لقاءاتهما بالمستشفى ثم توالت اتصالاتها به بعد أن أوهمها بالعمل فى السينما ، ثم فوجئت به يتخلى عنها ويتهرب منها واستدعى المقدم عبد الوهاب خليل رئيس مباحث القسم المطرب وأحاله للنيابة ، حيث أمر محمد سامى مدير نيابة الدقى باخلاء سبيله بكفالة ٢٠٠ جنيه » (٥) .

وبعد نشر هذا الخبر بفترة قصيرة ، نشرت الصحف نبأ

---

(٤) الاخبار فى ١٩٧٨/٤/١٩

(٥) الأهرام فى ١٩٨٥/٤/٥

زواجهما بقسم الشرطة .. ومعروف سلفا مصير هذا الزواج ...

***

● الحب على شاشات الاعلام :

يفتن بعض الشباب وبعض الفتيات بنماذج من النجوم الهابطة فوق شاشات الاعلام وبعض السذج من الشباب يتخذون من هؤلاء قدوة ومثلا أعلى ينسجون على مثاله فى طريقة الكلام وفى الحركات والسكنات والازياء و (الموديات).

ولا يعرف الشباب ان مهمة هؤلاء هى الافساد فى الأرض فهم يعيشون فى كل المجتمعات على حساب الفضيلة ولا تحلو لهم الحياة الا فى مستنقعات الجنس . والا :

فمن أين تعظم أرصدة البنوك ؟
ومن أين يكون بناء العمارات الشاهقة ؟
ومن أين تركب السيارات الفارهة ؟
ومن أين يكون التصييف فى أوروبا ؟

كيف يتخذون منهم أسوة وقدوة وهم فى كل واد يهيمون ، ولكل طاغية يهتفون وينشدون ويغنون ! !

ولذلك فلا تعجبوا اذا جعلوهم أعلى مرتبة من العلماء العاملين والعباقرة المفكرين وصوروهم بالقواد الفاتحين ، وجعلوا من الهلكى منهم شهداء صالحين .

ان الاسلام لا يمنع الترفيه .. فهو دين الفطرة السمحة ، ودين يرفض الرهبانية ، ويلفظ التشدد ، ويكره التعسير على الناس .

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قالوا يارسول الله ، انك لتداعبنا . قال « انى لا أقول الا حقا » . (٦) .

ويقول حجة الاسلام أبو حامد الغزالى فى معرض الحديث عن اللهو المباح : « اللهو مروح للقلب ، ومخفف عنه أعباء الفكر ، والقلوب اذا أكرهت عميت وترويحها اعانة لها على الخير ، فالمواظب على التفقه مثلا ينبغى أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تبعث على النشاط فى سائر الأيام ... فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ، ولا يصبر على الجد المحض ، والحق المر ، الا نفوس الأنبياء عليهم السلام ، فاللهو دواء القلب من داء الاعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحا ، ولكن لا ينبغى أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء ، فاذن اللهو على هذه النية يصير قربة » . (٧)

فهناك الف موضوع وموضوع صالح لأن يكون فيلما جادا أو مسلسلا هادفا بضوابط الاسلام ولكننا دائما نعشق السقوط .

فاللهو البرىء لا شىء فيه والاستجمام والمزاح مطلوبان للترويح على النفس وتجديد نشاطها ولكن أن يصير الهزل قاعدة والعمل شذوذا ، وأن يصير المغنون والممثلون أعلى مكانة من العلماء والمفكرين .. ترصد لهم الجوائز وتقام من أجلهم الأعياد والمهرجانات ، يعالجون على حساب الدولة رغم أن أجر الراقصة أو الممثلة فى فيلم ساقط قد يعدل مرتب خريج جامعة مكافح أطفأ نور عينيه فى البحث والدرس —

---

(٦) أخرجه الترمذى .
(٧) احياء علوم الدين : كتاب آداب السماع .

يعدل اجره طول حياته .. فاى احباط هذا ؟ وأى تنـاقض يعيش فيه الشباب ، ثم نصرخ من انحراف الشباب ! !

فما من فيلم ولا مسلسل — ما عدا النذر اليسير — الا كان المحور الذى تدور فى فلكه الأحداث هو « الحب الجنسى » ، الساقط الذى يلهب الغرائز بسياط من نار .

والشىء المؤسـف حقا أن شعوب الدول العربية التى تعرض فيها هذه الافلام تعتقد أن هذه الافلام تمثل شعب مصر ، حتى استقر فى وجدانهم ان شعب مصر كله يعيش فى الكباريهات ، وفتيات مصر ما هن الا بنات ليل .

واننا بأعلى صوتنا نحارب هذا السقوط بالسنتنا من فوق المنابر ، وبأقلامنا على صفحات الصحف والكتب ونقول :

« ان اعلام الجنس فى مصر لا يمثل احدا فى مصر » .

وانما جل هذه الطائفة التى ينتمى اليها هذا الاعلام تنتمى الى رواد « الغـرز » . (٨)

تقول صحيفة الأخبـار فى تحقيق عن « الموت الابيض » وهو ادمان « الهيروين » جاء فى الصحيفة بالحرف الواحد « من أيضا يشم الهيروين » ؟

« وللأسف الشديد بدأ هذا المخدر القاتل ينتشر عند بعض الفنـانين الذين يعتبرهم الجمهور قدوة ويتعلق بهم وبتحركاتهم وتصرفاتهم .

---

(٨) الاماكن التى تجمع السـكارى والمخمورين ومدمنى المخدرات .

ممثل كوميدى .. لا يسير ولا يذهب الى اى مكان الا وهو يحمل علبة صغيرة مثل علبة «النشوق» لكن بداخلها هيروين ، يفتحها فى اى وقت وأمام الجميع و « يشد » منها مخدر الموت الى انفه ، الى مخه ، الى دمه ، الى قلبه .

ممثل كوميدى آخر تحول من تعاطى الحشيش والأفيون الى « شمام » يتعاطى الهيروين

وايضا ممثل شاب نصف معروف .. أيضا هذا الممثل .. شـــــمام .

موسيقار معروف وصديقه الكاتب المسرحى .. انتهى به تعاطى الهيروين الى مواقف غريبة .

وممثلة شابة هى ابنة مطربة كبيرة تحولت ابنتها الممثلة الى مدمنة هيروين لدرجة انها تغادر بيتها بعد منتصف الليل بقميص النوم الى أوكار الشمامين فى الجيزة وبولاق عندما يحين موعد الشـــــمة .

راقصة شـــهيرة .. وللأســف تمثل مصر فى المهرجانات السياحية فى الخارج .. يقول عنها الشمامون انها « شمامة ممتازة » .

وراقصــــة اخرى بدأت تعمــل فى المسرح .. لا يمكن أن تؤدى دورها الا بعد تناول الشمة .

ممثل شاب نجح فى بعض الادوار ، حطم الهيروين صحته تمــاما .

أولاد مخرج شهير .. راقصة سابقة متزوجة من مطرب معروف .

ممثل تليفزيونى ومسرحى تعرف على احد كبار تجـــــار الباطنية .. يذهب اليه بعد انتهاء المسرحية ويصـــطحبه مع آخرين الى وكر من اوكار شم الهيروين .

مخرج شاب تعلم شم الهيروين وحاول أن يعـــلم زوجته الممثلة الشهيرة .. لكن القدر أنقذها وافترقت عنه .

يقول المحرر الذى قام بهذا التحقيق بعد هـــذا العـــرض المتقدم :

ملحوظة أولى : كل هذه المعلومات دقيقة تماما .

ملحوظة ثانية : لمــاذا نكتب عن هؤلاء ؟

ليس للتجريح ، ولكن للتحذير فان انحرافهم له أثره على الشباب المحيطين بهم ، وهناك فرصة تعطى لاعادة التفكير والعودة الى الطريق السليم » .. انتهى التحقيق (٩) .

فانظروا يا شباب عمن تأخذون قدوتكم ومنهج ســـلوككم فى الحياة .

والمتأمل فى حيـــــاة هذه الطائفة التى تمثل قصص الحب والغرام والوجد والهيام ، يجد أن أكثرهم وأكثرهن يسقطون ضحايا الاكتئاب النفسى أو الانتحار ، لان السعادة بالنســـبة لهم — تمثيلا فقط — وهذه هى الحقائق :

« منذ بضع سنين أصيبت الممثلة « فيفيان لى » بالانهيار

---

(٩) أخبار اليوم ١٩٨٥/٤/١٣

العصبى ، ومنذ أمد غير بعيد دخل المستشفى حشد من الفنانين مثل « جاك شاربيه » و « مارلين مونرو » قبل انتحارها و « بريجيت باردو » و « ايف مانتو » و « سان لوران» مكثوا بضعة أسابيع يعالجون من المرض نفسه (١٠).

اضف الى هذه القائمة :

« سوزان هيوارد » التى انتحرت لاصابتها بالاكتئاب النفسى .

ومن اللاتى اعتزلن الفن وهن فى قمة الشهرة : « جريتا جاربو » و « بريجيت باردو » وأخريات .

والى الشباب المعجب والشابات المعجبات بالفنانين والفنانات أهدى اليهم نص الوصية التي تركتها ممثلة الاغراء العالمية « مارلين مونرو » بعد أن ودعت الحياة بأسوأ ما تودع به الحياة ..

تقول فى وصيتها المحفوظة فى « مانهاتن بنك » فى نيويورك :

« احذرى المجد .. احذرى كل ما يخدعك بالأضواء .. انى اتعس امرأة على هذه الأرض .. لم استطع أن أكون أما .. انى امرأة أفضل البيت .. الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل ان هذه الحياة العائلية لهى رمز لسعادة المرأة بل الانسانية .

---

(١٠) طبيبك معك ، الدكتور صبرى القبانى ، ص ٢٥

« لقد ظلمنى كل الناس .. وان العمل فى السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشـــهرة الزائفة .

اننى أنصح الفتيات بعدم العمل فى السينما ، والتمثيل ، أن نهايتهن اذا لم يكن عاقلات كنهايتى » (١١) .

هؤلاء هم وهن الذين يعرضـــــون أفلام الحب وقصص السـعادة .

هؤلاء هن :

البائســـات المائســـات ... كـــالة مـــن غـــير روح
النـــاشرات شـــذى ومن ... أعمـــاقهن اذى يفوح
الضـــاحكات وقد طـــوين ... قـــلوبهن على جـــروح
آلامهـــا الحـــرى مع ... الزافرات ، فى لهف تفوح (١٢)

***

● **الحب العصرى :**

يلجأ كثير من الشباب الذين يحملون بين جوانحهم نفوس الثعالب الى ارتقاء منابر الوعظ فيحاول بأسلوبه الملتوى أن يفهم زميلته أن هـــذا التحفظ والتصون ما هو الا « موضـــة » عفـــا عليها الدهر ، وأنها بسلوكها هذا ســـــترمى بالتخلف والجمود والتحجر والرجعية وبانها معقدة ، وأننـــــا لا بد أن

---

(١١) المرأة بين الفقـــه والقانون — د . مصطفى السـباعى ص ٣١٦ .

(١٢) من شعر الاستاذ عمر بهاء الدين الاميرى .

نعيش عصرنا ، عصر التحرر والانطلاق والانعتاق من التقاليد البالية ، فان الفتاة الاوربية الآن لا بد لها من « البوى فرند » ليقضى معها « الويك اند » الى آخر اساليب التخدير حتى تسقط الضحية .

وانا يا اختى سأكشف لك هذه الأساليب الخسيسة لمثل هذا الصنف من الشباب برسالتين لبنات جنسك ، وكأن الرسالة الثانية ترد على الرسالة الاولى والعاقل من اتعظ بغيره والاحمق من ارتكب حماقات الآخرين :

ارسلت فتاة الى جريدة الأمة الاسلامية المصرية هذه الرسالة (١٣) :

« أنا فتاة عمرى عشرون عاما ، نشأت فى بيت متدين وحفظت القرآن ، أبى يريدنى أن اكون مثالا للفتاة المتدينة ، فلم افعل ما يخدش حيائى أو سمعتى فى أى علاقة مع الجنس الآخر « الشباب » لكى زميلاتى حاولن اقناعى بالحب ، وقلن لى : انت « شيخة » ودائما معقدة نفسيا .. فماذا افعل أمام هذا ؟ .. ايمان — روكسى — مصر الجديدة

ومن الموافقات الطريفة أن تنشر مجلة آخر ساعة فى نفس التاريخ (١٤) رسالة من فتاة فى كلية الطب تحت عنوان « الفتاة المتحررة للتسلية وليست للزواج »

ارجو أن تقراها « ايمان » ومثيلاتها من فتياتنا الملتزمات

---

(١٣) عدد ربيع الاول سنة ١٤٠٥ هـ — نوفمبر ١٩٨٤ م
(١٤) ٥ من ربيع الأول ١٤٠٥ هـ — ٢٨ نوفمبر ١٩٨٤ م

ليعلمن الى اية هوة سوداء يريد دعاة التحرر أن يلقوا بفتياتنا فيهـــا .

وسأعرض الرسالة على طولها لمـــا تضمنته من جليل الأثر وعظيم النفع .

علق المحرر قبل عرض الخطاب بقوله :

« لم أصدق مطلقا أن يكون رأى الجنس الآخر النـــاعم بهذه الكثافة والموضـــوعية .. لم اكن أتوقع أن تكون ردود الفعل عاتية وقاسية ضد الذين يطلقون على أنفسهم (زبدة الطبقة المثقفة) أو ذلك الفريق من المثقفين الذين ينـــادون بضرورة تحرر المرأة بوجه عام والفتـــاة بوجه خاص ، وأن يكون هذا التحرر بدون قيد أو شرط ، وقد استرعى انتباهى خطاب كتب بدقة ورقة فى نفس الوقت على ورق ناعم أزرق اللون .. فى نهايته زهرة منقوشة ، حرصت صاحبة الخطاب أن تكتب بجوارها وحولها : حتى تبقى الزهرة متدفقة رافعـــة الرأس فى كبرياء وترمز الى صـــاحبة الخطاب ، وتلك هى رسالة القارئة (أمينة س . ل . م .) :

« تحية طيبة وبعد ..

جلست ساعات طويلة أفكر فى مضمون رسالتى اليك .. وساعات أكثر أختار الكلمة المناسبة حتى أصـــل الى المعنى الواضح الذى لا غموض فيه ولا ابهام .. أو حتى وجود أى معنى آخر غير الذى أريده ، ورسالتى ليست غنية بالالفاظ البراقة أو الكلمات المتأنقة ، ولكنها من بدايتهـــا الى نهايتهـــا حكاية فى تجربة .. أو هى تجربة تأخذ شـــكل الحـــكاية الـــدرامية .. لأننى مازلت أنزف الأسى والقـــرف والعـــلقم والمرارة بسبب تحررى الذى كاد يقضى على مستقبلى وحياتى

ولولا بقية من امل ، واصرار من جانبى على ضرورة اثبات وجودى وتحقيق ذاتى لكنت من الضائعات وسط زحام الحياة .. حياة البشر الذين لا يرحمون الضعيف ..

دخلت كلية الطب وليس فى داخلى اى عقدة .. كنت بسيطة .. كانت علاقتى بالزملاء والزميلات صفحة بيضاء ، وليس فيها نقطة سوداء .. لم اكن خبيثة — ولا اعتقد انى كنت كذلك فى اى وقت فى يوم ما — ولم يكن لى قصد .. اى قصد فى كلمة اتفوه بها او تصرف اقوم به .. اقف مع زميل.. واتحدث مع آخر حتى اصبح وجودى ضروريا ، وتحول غيابى بسبب المرض الى سؤال من الجميع .. كنت دائما على راس قائمة الرحلات فى الكلية — حتى لقبونى « بالفراشة » التى لا غنى عنها والتى لا يمكن الاستغناء عنها ، وهذا الشعور جعلنى احس بالاطمئنان للزملاء قبل الزميلات .. دعوتهم الى بيتى .. كانوا بالنسبة لى اخوة واخوات ولم افكر أن تتطور العلاقة الى درجة أعلى .

ومرت سنوات الدراسة حتى وقفت عند السنة الخامسة — كان هناك زميل انجذبت اليه عواطفى وشعرت انه يبادلنى نفس الشعور .. بدات تجمعنا جلسات خاصة داخل الكلية ، وفى أحيان قليلة كنت اذهب معه الى كازينو عام وشعر الزملاء والزميلات أن هذه العلاقة ستنتهى بالزواج ..

كنت مؤهلة نفسيا وعاطفيا لهذا الرباط المقدس ، وبعد التخرج حدثت (المأساة) ارتبط زميلى بواحدة أخرى .. كانت مفاجأة لى .. ولجميع زملاء الدفعة .. المأساة شعرت بها تعتصرنى عند ما علمت أنه رفض الارتباط بى ، لاننى على حد قوله : كنت كالسلعة المشاع مع الجميع ، كنت — متحررة — اكثر من اللازم .. وهو كشاب مصرى يرفض هذا

التحرر اذ أن هناك فرقا بين انسانة زميلة يقضى معها حتى الوقت البرىء وانسانة لا يعرف عنها أى شىء ..

هناك اظلمت الدنيا فى وجهى .. شعرت تماما بمأساتى .. علما بأننى لم اخطىء ولم أتصرف بما يغضب الله .. عذريتى كما هى .. شرفى كامل غير منقوص .. حتى القبلة لم يحصل عليها احد .. أى أحد حتى الآن ..

كل جريمتى ، اننى كنت متحررة ، وكنت فى تصرفاتى كالأخت للجميع .. نسيت أن اقول اننى جميلة .. لذلك أقول لهؤلاء الرجال الذين يرفعون شعار التحرر : انتم تتسلون على المتحررات .. وهذه التسلية ترضى غروركم وتقضى عليهن » !!

وتخلص صاحبة الخطاب الى القول :

« ان تحرر الفتاة عندنا معناه أنها فقط للتسلية وليست للزواج » وللحديث بقية . انتهى الخطاب .

واستكمالا للصورة التى رسمتها صاحبة الخطاب من واقع التجربة أقول :

لو افترضنا حسن النية فى أى شاب أحب فتاة فاننى سأوجه الى كل منهما عدة أسئلة يجيبون عنها بكل صدق وأمانة وشجاعة أدبية فى مواجهة النفس ، وذلك اذا افترضنا أن هذا الحب ليس للتسلية والترفيه .

وأنهما بالفعل يريدان لهذا الحب أن يجد طريقه الى النور اعنى أن ينتهى بالزواج .

هل يملك هذا الحبيب شقة يقيم فيها هذا الحب ؟ هل تستطيع هذه الفتاة أن تنتظر هذا الحبيب ريثما يتخرج فى

الجامعة بعد سنوات ليمضى بضع سنوات اخرى للانفاق على مشروع الحب ؟

وما موقف المحبوبة اذا وجدت عريسا جاهزا هبط عليها من السماء فجأة ؟ هل ستضحى به فى سبيل الحبيب المنتظر أم انها ستدوس على عواطفها وتقبل العريس الجاهز على الفور ؟

وما موقف المحب اذا لفتت نظره فتاة أخرى تفضل المحبوبة انوثة وفتنة وذكاء ؟ هل سيغير رأيه ؟ فلنكن صرحاء ..

نعم : يمكن أن نحب فى مرحلة الدراسة الثانوية أو الجامعية ، اذا كنا نريد أن نبنى أحلاما هلامية على صفحات النيل ليسكن فيها هذا الحب الخيالى المجنح فى عالم الاوهام ، وليترك هذا الحب بعد رحيله نفسا محطمة وآمالا دفنت فى رمال اليأس .

اذن الحب فى هذه المرحلة كما قال الحكماء عنه « انه نسيج حيوانى طرز عليه الخيال نقوشا جميلة » أو هو « رغبة جنسية مؤجلة » .

ولا ترضى فتاة تعتز بكرامتها أن تجعل من نفسها متنفسا للآخرين ، أو أداة تسلية قد تسلمها فى النهاية الى السقوط ، وتجنى هى فى النهاية — وحدها — ثمرة العلاقة الآثمة .

ان الرجل يحب فى الفتاة شرفها وفضيلتها .. يحب فتاة بلا ماض .. فتاة عذراء الروح .. بكر الفؤاد .. لم يستهلك طاقة الحب فى قلبها الرقيق بشر ، ولم يلوث جسدها انسان .

وستظل الفتاة العفيفة المتصونة المحتشمة التى ليست

« مشاعا للجميع » والتى ليست فرجة لكل ناظر ، أو شهوة لكل عابر — ستظل فى نظر الرجل — حتى المنحل — المثل الأعلى والنموذج الفريد الذى يلهب خياله ويؤجج فى قلبه جذوة العاطفة والذى يختاره ليقطع معه رحلة الحياة .

واننا لنجد فى تراثنا العربى شمم المراة العربية وانفتها حين تقف قوية المراس أمام عواطفها .

« قيل لعتبه بعد موت عاشقها ما كان ضرك لو امتعته بوجهك ؟ قالت منعنى من ذلك خوف العار ، وشماتة الجار ، ومخافة الجبار .. وأن بقلبى أضعاف ما بقلبه — غير أنى أجد ستره أبقى للمودة ، وأحمد للعاقبة ، وأطوع للرب ، وأخف للذنب » (١٥) .

وقبل أن نغادر الحديث فى هذا الموضوع فان اديب العربية الفذ « مصطفى صادق الرافعى » يهمس فى اذنك بهذه الكلمات :

احذرى أن تخدعى عن نفسك .. ان المراة أشد افتقارا الى الشرف منها الى الحياة .

« ان الكلمة الخادعة اذ تقال لك ، هى أخت الكلمة التى تقال ساعة انفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق .

« يغترونك بكلمات الحب والزواج والمال ، كما يقال للصاعد الى الشناقة : ماذا تشتهى ؟ ماذا تريد ؟ »

« الحب ؟ الزواج ؟ المال ؟ يا لحم الدجاجة .. بعض كلمات الثعلب .. هى أنياب الثعلب .

---

(١٥) روضة المحبين لابن القيم ص ٣٣٦

« أيتها الشرقية ، احذرى .. احـــذرى .. احـــذرى السقوط . ان سقوط المرأة لهوله ، وشدته ثلاث مصائب فى مصيبة . »

« سقوطها هى ، وسقوط من أوجدوها ، وســـقوط من توجدهم .. نوائب الأسرة كلها قد يســـترها البيت الا عار المرأة ، فيد العار تقلب الحيطان كما تقلب اليد الثوب فتجعل ما لا يرى هو مايرى ، والعار حكم ينفذه المجتمع كله ، فهو نفى من الاحترام الانسانى .

« أيتها الشرقية ، احذرى .. احذرى .. لو كان العار فى بئر عميقة لقلبها الشيطان مئذنة ، ووقف يؤذن عليها .. يفرح اللعين بفضيحة المرأة خاصة كما يفرح أب غنى بمولود جديد فى بيته .. واللص والقاتل والســـكير والفاســـق ، كل هؤلاء على ظاهر الانسانية كالحر أو البرد .

« أما المرأة حين تسقط ، فهذه من تحت الانسانية هى الزلزلة .. ليس أفظع من الزلزلة المرتجة تشق الأرض ، الا عار المرأة حين يشق الأسرة ..

أيتها الشرقية : احذرى ، احذرى » !! (١٦) .

***

(١٦) وحى القلم ج : ١ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧

الحب الناضـج

وتســـالوننى : متى نتمتع بنعيم الحب ونشوته ؟

نعم : فى هذه المرة تسألون عن الحب الحقيقى ، لا الحب المزيف — الحب الناضـــج — وليس حب المراهقـــة الذى يشتعل سريعا وينطفىء سريعا .

وهذا الحب الذى نعنيه هو العـــاطفة الناضـجة التى تفرق بين الاحساس السطحى بالجمال ، وبين الاحســـاس الحقيقى بحب انسان فيه من الصفات ما هو جـدير بهــذا الحب ..

هذا الحب الناضج ، الواعى ، هو الذى قد يطرق القلب عندما يصبح الشـــاب مســـتعدا لتحمل نتائجه .. أقصـــد تحمل تبعات الزواج ..

هذا الحب يباركه الاســـلام .

عن ابن عبـــاس — رضى الله عنهما — أن رجـــلا قال : يا رسول الله ، عندنا يتيمة قد خطبها رجلان موسر ومعسر ، هى تهوى المعسر ، ونحن نهوى الموسر . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لم ير للمتحابين مثل النكاح » (١) .

والنظرة هى الشرارة الأولى التى تشعل عاطفة الحب .

كم نظرة فعلت فى قلب صـــاحبها

فعل الســـهام بلا قوس ولا وتر

---

(١) رواه ابن ماجه والطبرانى

قال الأصمعى :

«الحسن فى العينين ، والجمال فى الأنف ، والملاحة فى الفم . »

ولا تحل هذه النظرة الطويلة المحققة المدققة فى أسرار الجمال ، الا اذا كان الانسان عازما على الزواج . ولذلك كان النبى — صلى الله عليه وسلم — يدفع من يريد الزواج الى رؤية من يريد خطبتها لعله يدرك من أسرار الجمال فيها وتدرك من أسرار الجمال فيه ما يوقع الحب فى قلبيهما .

وما الحب من حسن ولا من ملاحة
ولكنه شىء به الروح تكلف

وعن سهل بن سعد ، أن امرأة جاءت الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت : يارسول الله ، جئت لأهب لك نفسى ، فنظر اليها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فصعد فيها النظر اليها وصوبه ثم طأطأ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقصد فيها شيئا جلست . وفى رواية أنه قال « لا حاجة لى فى النساء » (٢)

وعن محمد بن مسلمة قال : خطبت امرأة فجعلت أتخبأ لها حتى نظرت اليها فى نخل لها ، فقيل له أتفعل ذلك وأنت صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ فقال : انى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « اذا ألقى الله فى قلب امرىء خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر اليها » (٣) .

---

(٢) اخرجه البخارى ومسلم والنسائى والبيهقى .
(٣) رواه ابن ماجه وابن حيان بسند آخر .

وهذا الحوار الذى دار بين عبـد الملك بن مروان وبثينة يبين أن لكل انســان ذوقا فى الجمــال قد يتعلق بغير المظهر الخارجى ، ويكون باعث التقاء الأرواح فيه أقوى من باعث الجمال الحسي و « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » (٤) .

دخلت بثينة على عبـد الملك بن مروان ، فقال لهــا : يا بثينة ، ما أرى فيك شيئا مما يقوله جميل . فقالت : يا أمير المؤمنين ، انه كان يرنو الى بعينين ليستا فى رأسك ، قال : كيف رأيته فى عشقه ؟ قالت : كان كما قال الشاعر :

لا والذى تســجد الجبــاه له
ما لى بمــا تحت ذيلها خبــر
ولا بفيهــا ولا هممت بهــا
ما كان الا الحــديث والنظــر (٥)

وهكذا يكون الزواج هو الخطوة الأولى على طريق الحب الناضج الذى يعمر به الكون ، ويدفع سفينة الحياة فى بحار السعادة هادئة مطمئنة.. تهب عليها نسمات الصفاء ..يتمتع بها الحس وتأنس اليها النفس ، ويكون المعنى الحقيقى لقوله عز وجل :

« ومن آياته أن خلق لكم من انفســكم ازواجا لتســكنوا اليهــا وجعل بينكم مودة ورحمــة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفــكرون » (٦) .

* * *

---

(٤) أخرجه البخارى .
(٥) المستطرق للأبشيهى ص ١٨٣ .
(٦) الروم : ٢١

الجمـــال

من الطبائع المركوزة فى النفس البشرية غريزة الاحساس بالجمـــال .

والاسلام ينمى ذوق المسلم ويزكيه ، ليصـــير عنده هذا الاحساس المرهف بالجمال ، فهو يدعوه الى استكناه أسرار الجمال وروعته فى هذا الكون .

يقول تبـــارك وتعـــالى :

« وصوركم فاحســـــن صوركم » (١)
« انا زينـــا السماء الدنيا بزينة الكواكب » (٢)
« ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين » (٣)
« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » (٤)

والكون سماؤه وأرضه يشهد بروعة هذا الجمال . . تجده فى الصباح الوليد ، وفى اشراق الأزاهير ، وفى الثمـــار الدانية ، وفى الأنهار الساجية ، وفى الطيور الشادية ، وفى الكواكب المتألقة .

وما بعث محمـــد — صـــلى الله عليه وسلم — الا ليزكى النفوس ويرقى بها صعدا ويربى فيها هذا الاحساس الرقيق ليكون المسلم جميل الباطن ، جميل الظاهر .

---

(١) التغـــابن : ٣ (٢) الصافات : ٦
(٣) الحجر : ١٦ (٤) التين : ٤

واللطيف الخبير بدقائق النفس البشرية ، يعرف ضعف الرجل أمام فتنة المرأة وسحرها فوضع لها ضوابط ابداء الزينة ، حتى لا يتحول المجتمع الى قطعان من الحيوانات الباحثة عن اطفاء غريزة الجنس فيه فيصاب المجتمع بالخلل ويحق عليه الشقاء .

فلم يترك الاسلام المرأة نشوة لكل لامس ، ولا متعة لكل ناظر ، ولا ملكا مشاعا لكل طالب لذة .

أما أصحاب الشطحات والنزوات من القائلين بأن الله اذا كان قد دعا الى الاستمتاع بجمال الطبيعة ، فالمرأة هى لب الطبيعة وسرها .

هذا المنطق ، هو منطق الوثنيين الاغريقيين ، يقول « ديموستين » الخطيب الاغريقى الشهير :

« اننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية — يقصد التسلية والترفيه — ونتخذ الزوجات ليلدن الأبناء الشرعيين » .

فأية مهانة للمرأة بهذا الفكر الساقط ! !

ولن نذهب بعيدا فى الرد على هؤلاء ، لكننا سنعرض مشهدا من مشاهد المجتمعات التى تبنت هذا المنطق المنحرف فأوردها موارد الهلاك .

يقول الدكتور محمد محمد حسين عن السبب فى شيوع البرود الجنسى فى دول الغرب « انه راجع الى انتشار الشذوذ واستفحال دائه ، وهو راجع الى الرجل الذى الف أن يقع بصره على مفاتن المرأة فلا يثور ، يحتاج لكى يثور الى مناظر وأوضاع تخالف ما الف . ثم ان أصابته بالبرود تحرمه

لذة من أكبر اللذائذ ، ومتعة من أعظم ما ينطوى عليه الناموس من المتع . وهى متعة تسكن عندها النفس ، ويطمئن القلب . ويستقر الاضطراب ، ومصيبته هذه بالبرود الجنسى ، تحرمه من الاحساس بذكورته فيعانى أشد الألم مما يحسه فى أعماق نفسه من الذلة والمهانة ويدفعه ذلك الى أن يحاول تحقيق متعة الاتصال الجنسى واثباتها من كل الوجوه ، عن طريق التقلب بين الخليلات ، وبائعات الهوى ، والتماس الشاذ الغريب من الأساليب والأوضاع ، رجاء انبعاث ما ركد من ذكورته ، وقد تدفعه مع ذلك الى اغراق نفسه فى المخدرات تعويضا لما فقده من لذة أو الى الاجرام أو المغامرة اثباتا لذكورته من وجه آخر .

ومثل هذا الشذوذ يشمل الجميع ، الرجل والمراة على السواء ، لأن البرود الجنسى الذى يؤدى اليه هذا الاختلاط ، بل الذى يسعى اليه دعاة الاختلاط — برود ذو شقين — لا يحقق ما يزعمونه من أهداف الا اذا شمل الذكر والأنثى فانتفت الرغبة الجنسية الجسدية فى الطرفين كليهما عند اللقاء وعند اللعب والممازحة والمراقصة .

ويستطيع القارىء أن يتتبع هذه الظاهرة فى المجتمع الغربى ، ليتبين آثارها المدمرة فيه ، وهى آثار لا مفر معها عن مثل مصير الذين خلوا من البائدين « **فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا** » (٥) .

وأخيرا وليس آخرا ظهور مرض « الايدز » و « الهربز »

---

(٥) عن تحفة العروس للاستاذ محمود مهدى استانبولى ص ١٤ — والآية من سورة فاطر : ٤٣

الذى يصيب الشواذ من الجنسين ، والذى انتشر فى أوروبا وامريكا ، وانتقل للأسف الى بعض الدول العربية ولم يعثر له حتى الآن على علاج .

يقول الدكتور « صالح الشيمى » أن المرضين قديمان ، ولكنهما ظهرا بصورة تشبه الوباء فى الجماعات المنحلة خلقيا فى كل من الولايات المتحدة وأوروبا ، ثم انتقل الى بعض الدول العربية ، وفى بعض الدول فى الشرق الاقصى ، ولكنه لم ينتقل حتى الآن الى مصر .

ويجيب الدكتور الشيمى عن كيفية الوقاية من هذا المرض فيقول : « الايمان » . ويستطرد قائلا :

« ان الله قد وعد قوم « لوط » بعذاب اليم ، قوم لوط فى نهاية القرن العشرين هم الجماعات المنحلة فى أى مكان من الكرة الأرضية ولا أعتقد — كما يقول الدكتور الشيمى — أن هناك عذابا أقسى من هذا المرض الذى لم يصل العلماء الى معرفة أسراره وطرق مقاومته ، فهو اذا أمسك بجسد الانسان يفتك به فى أقل من ستة أشهر ، ولذلك فان الايمان وتعاليم الاسلام والطهارة الجسدية هى الوقاية الوحيدة من هذا المرض .

وقد حدث فى جزيرة « هايتى » وهى جزيرة أقيمت لجذب السائح الأمريكى ، وأباحت له كل شىء حتى الشذوذ .

اقاموا فى الجزيرة أفخر الفنادق ، وبرعوا فى الاشباع الجنسى للسائح الامريكى .. وتركوا له الحرية فى كل شىء .. ولذلك اصبح عدد السائحين لهذه الجزيرة ٧٠٠ الف أمريكى وأمريكية ، وأصبحت السياحة هى المصدر الأساسى لدخل « هايتى » وفى الصيف قبل الماضى أصدرت وزارة الصحة

الأمريكية بيـــانا قالت فيه : « ان مرض الايدز » قد جاء من هذه الجزيرة ، ونزل البيان كالزلزال على الجزيرة . لقــد انخفض عدد السياح الى عشرة آلاف سائح فقط ، وانتشرت البطالة فى الجزيرة ، وخوت الفنادق وفقــد ٢٥٠ الفــا من العاملين فى الفنادق أعمالهم .. وبدأ تبادل الاتهــــامات بين سلطات الجزيرة ووزارة الصـــحة الامريكية ، وســـلطات الجزيرة تصدر البيانات التى تؤكد أن نسبة الشــــواذ فى الولايات المتحدة كبيرة جدا .. بل ان هناك ولاية كاملة من الشواذ ، وبالتالى فان المرض جاء به السياح الأمريكيون من امريكا الى هايتى ، واكثر من هذا .. لقد أصبح كل ما يتصــل بهذه الجــزيرة يثير الفـــزع .. موظفة الجــوازات ترفض الامساك بجواز ســفر أمريكى قادم من الجــزيرة خوفا من « الأيدز » وسلطات مطار كيندى أعادت شحنة ملابس جاهزة عند ما قرأوا عبارة « صنع فى هايتى » وهكذا تحولت جزيرة « هايتى » الى نوع من العـــذاب الذى وعــد الله به قوم لوط » (٦) .

---

(٦) الاخبار ١٩٨٣/١٢/٢٠

والتحقيقات الحديثة تشير الى انتشار هذا المرض بصورة واسعة ، مما حدا بالحكومة الامريكية الى عمل مجموعات من الاطباء تنتشر فى محاولة يائسة لتهدئة المرضى . وتقول مجلة « تايم » : « انه قد بلغ عدد المصابين بالهربس فى « أمريكا » ٢٠ مليون مريض ، نتيجة العلاقات الجنسية غير المشروعة ، وأن معدلات الاصابة بهذا المرض تزيد سنويا بمعــدل من ٢٠ الى ٥٠ الف حالة ، وتهدد بالانتقال الى أنحاء العالم ».

ولعل هذا البيان قد القم عباقرة الفكر المنحل حجرا .
وانبه الشباب الى ان فتنة المراة لا تكمن فى قسمات الوجه ، ورشاقة القوام فحسب ، ولكنها تكمن فى اشراق الروح بنور الايمان الذى يضىء جوانب النفس .

ربما يلتقى الشاب بفتاة رائقة الحسن ، رخيمة الصوت ، مشوقة القوام .
وسرعان ما يفتن بالرقة والبراءة وملائكية القسمات ، فيخلع على هذه الفتاة من نسيج خياله الخصيب هالة من السحر والجمال لا تتمتع منها بشىء .

والزواج الناجح لا يمكن ان يقوم على صباحة الوجه ، ورخامة المنطق ، ورشاقة القوام ، واناقة الهندام فحسب ، بل لابد لهذا الصرح الشامخ من اساس متين يقوم عليه ليغالب الهزات والعوامل الطبيعية التى تعترى الحياة الزوجية .
وتأمل معى أقوال بعض الشعراء فى جمال المحسوس دون جمال النفوس :

احذر محاسن أوجه فقدت محا
سن أنفس ولو أنها أقمار
سرج تلوح اذا نظرت فانها
نور يضىء واذا مسست فنار

***

جمال الوجه مع قبح النفوس
كقنديل على قبر المجوس

***

على وجـه مى مسحـة من ملاحة
وتحت الثياب الخزى لو كان باديا

***

واذا جميـل الوجـه لـم
يأت الجميـل فما جمـاله

ويقسم العلامة ابن القيم الجمال قسمين : ظاهر وباطن « فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته ، وهو جمال العلم والجود والعفة والشجاعة ، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته كما فى الحديث الصحيح : « ان الله لا ينظر الى صـوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » .

وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وان لم تكن ذات جمال ، فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست به روحه من تلك الصفات ، وهذا الأمر مشهود بالعيان ، فانك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وان كان أسود أو غير جميل ولا سيما اذا رزق حظا من صلاة الليل فانها تنور الوجه وتحسنه .

« وقد كان بعض النساء تكثر من صلاة الليل ، فقيل لها فى ذلك ، فقالت : انها تحسن الوجه وانا أحب أن يحسن وجهى ، ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل اليه .

« وأما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض وهى زيادة من زيادة الخلق « **يزيد فى الخلق ما يشاء** » (٧)

---

(٧) فاطر : ١

قالوا : هو الصوت الحسن والصـــورة الحســـنة . والقلوب كالمطبـــوعة على محبتـــه كمـــا هى مفطورة على استحسانه .

وكما أن جمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده ، فالجمال الظاهر نعمة منه أيضا على عبده يوجب شكرا ، فان شكره بتقواه وصيانته ، ازداد جمالا على جماله وان استعمل جماله فى معاصيه سبحانه قلبه له شيئا ظاهرا فى الدنيا قبل الآخرة ، فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحا وشينا ينفر عنه كل من رآه ، فكل من لم يتق الله — عز وجل — فى حسنه وجماله انقلب قبحا وشينا يشينه به بين الناس ، فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره ، وقبح الباطـن يعلـو جمال الظاهـر ويستره .

وقال بعض الحكماء : ينبغى للعبد أن ينظر كل يـــوم فى المرآة ، فان رأى صـــورته حسنة لم يشنها تقبيح فعله ، وان رآها قبيحة لم يجمع بين قبح الصورة وقبح الفعل (٨) .

والاسلام يلفت أنظار الشباب الى أن جمال الباطن ينبغى أن يكون هو الأصل فى اختيار الزوجة .

قال صلى الله عليه وسلم : «تنكح المرأة لاربع خصـــال : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » (٩) .

فالحديث يجعل الدين أساسا للاختيار ، فاذا قرن الدين

---

(٨) ملخصا من روضة المحبين لابن القيم ص ٢١٨ .

(٩) رواه الخمسة الا الترمذى .

بالمال فبها ونعمت ، أو بالجمال أو بالحسب فذلك فضـــل من الله .

ولا يفهم من الحديث أن الاسلام لا يريد الجمال فى الزوجه والا فلم يأمر النبى — صلى الله عليه وسلم — من يريد الزواج بالنظر الى من يريدها زوجة ، وما ذاك الا ليرى من مظاهـــر الجمال فيها وترى من مظاهـــر الرجولة فيه مـــا يدعوهما الى الزواج كما بينا ذلك آنفسا تحت عنوان « الحب الناضج » .

***

● **الحب من اول نظرة :**

والحديث عن الجمال سيسوقنا سوقا الى الحـــديث عن الحب من أول نظرة ، وأبلغ ما قاله الحكمـــاء فى هـــذا الحب المزعوم :

« ان الحب يبدأ بنظرة الى من نحب ، وقد ينتهى بنظـــرة أخرى الى محبوبة أخرى » .

ويعلق ابن حزم على « الحب من أول نظرة » فيقول :

« كما أن أسرع الاشياء نموا أسرعها فناء وأبطؤها نفاذا كذلك فان من أحب من نظرة واحدة انما يبرهن على أنه قليـــل الصبر سريع الهجر (١٠) .

اذن فالحب من أول نظـــرة نوع من الاســـــتلطاف أو الاستحسان أو الشهوة .

وهذا النوع من الحب لا يصلح لاقامة حياة زوجية على أوهامه .

***

(١٠) طوق الحمامة ص ٤٤

والاندفاع بالعاطفة والغرائز قد تجعل هذا النوع بعيــدا عن الواقع ، وبذلك يتبين أن نسبة نجاحه أقل من نســبة نجــاح الزواج التقليدى .

« والحب الأسطورى ينشأ دون تجهيز طبعا ، فقد تكون هناك فوارق أجتماعية ومادية وبيئية قد تثير خلافات زوجية فى المستقبل نتيجة للهدوء الوجدانى والعاطفى الذى حــل محــل العاطفة المشتعلة التى كانت فى بداية الارتباط » (١) .

ويقول الدكتور عمر شاهين — رئيس قسم الطب النفسى بجامعة القاهرة : ان هناك أربعة أنواع من الزواج :

١ — الزواج التخطيطى :

وهو زواج يقوم على العقل والتفكير .. يختار فيه كل من الطرفين الطرف الآخر بعد دراسة وتمعن وتوافق الصــفات والظروف مع ما يتصوره من صفات الزوج أو الزوجة .

٢ — الزواج الاجبارى :

وهو الذى يرغم فيه أحد من الطرفــين على الــزواج من الطرف الآخر ، ويكون المجبر على الزواج عادة هى العروس بضغط من أهلها .

٣ — الزواج العاطفى :

وهو زواج الحب الذى يختار فيه كل من الطرفين الطرف الآخر عن اقتناع عاطفى ، حتى لو كان غير مبنى على دراسة حقيقية .

---

(١) أنظر « أنت ونفسك » د. يسرى عبد المحسن .

الزواج العــاطفى

نقصد به هذا النوع من العواطف غــير الناضـــجه التى تنشأ قبل الزواج والتى لم يستشر فيها منهج الاسلام .

وهذا الزواج قد يكون مبعثه الحب من أول نظرة ، أو الفتنة بجمال الصورة ، أو اســتجابة لعاطفة هوجاء تخفى وراءها نزعات جنسية .

ومثل هذه المقومات ــ كما بينا ــ لا تدوم بها علاقة ، ولا تؤسس عليها حياة ، ولا يعمر بها بيت ، لأنها تستنفد مقومات وجودها بمجرد زوالها ، ونتيجة حتمية للهدوء الوجدانى الذى قد يحيل نار العاطفة المتؤججة الى تراب بعد اتمام الزواج ، كما يشهد به الواقع .

وكم من مشكلة زوجية عرضت على لهذا النوع من الزواج فكان من اجابتى لصاحب المشكلة قولى : انك لم تستشر منهج الاسلام فى اختيارك لزوجتك ، والعجب أن تلجأ اليه فى حــل مشاكلك !

وجاءت الدراسات النفسية والاجتماعية لتثبت أن نســبة كبيرة من حالات الزواج عن هــذا النوع من الحب تفشـــل فى نهاية المطاف .

يقول الدكتور « يسرى عبد المحسن » :

« ان الحالات التى لا ينجح فيها هذا النوع من الزواج ، قد تخفى وراءها عناصر هامة للنجاح كان يجب أن تظهر فى هذا النوع من الزواج ، وايضا فان الانجــذاب الى المظهــر والمبالغة فى تقييم كل طرف من الاطراف للآخر بالصورة المثالية

ويقول الدكتور عمر شاهين : ان افشل انواع الزواج هو الزواج الاجبارى لأنه يتم رغم كراهية احد الزوجين له .

وانه قد ثبت احصائيا ان الزواج العاطفى زواج فاشـــل رغم أنه يتم برغبة عارمة من الطرفين والسبب فى ذلك انه بعد انتهاء فورة الحب تتبين الصـــفات السلبية فى شـــخصيات الزوجين التى قد تعرض الزواج للفشل وصدق من قال «الحب أعمى » .

فالحبيب بولهه بحبيبته يلغى عقله ولا يرى الظروف غـــير المناسبة المحيطة بالزواج والتى قد تعرضه كله للانهيار مثـــل عدم تكافؤ الفرص ، كما انه يعيب الزواج التخطيطى بعده عن العاطفة مما قد يعرضه للانهيار .

٤ — الزواج العقلى الممزوج بالعاطفة :

وهو انجح انواع الزواج وهو الذى يتفق مع الاسلام وفيه يدخل العريس من الباب بدلا من دخوله من « الشباك » كمـــا يحدث عادة فى الزواج العاطفى ، وهذا النوع من الزواج يقوم على العقل والعاطفة معا فيجب دراســـة الظروف المحيطـــة بالزواج قبل اتمامه ويجب أن تكون ظروف العروسين متكافئة، وأن تخلو شخصيتهما من السلبيات المختلفة كأن يكون العريس مثلا سكيرا أو مقامرا أو غير ذلك ، وتوافق العاطفـــة ركـــن أساسى لا يمكن الاستغناء عنه وهى تبدأ بتقبل كل من الطرفين للطرف الآخر وتنتهى بالعشق والغرام والهيام .

واليك نماذج باكية لهذا النوع من الزواج :

الى زاوية الجنس الآخر فى جـــريدة الأخبار نشر هـــذا الخطاب . تقول محررة الزاوية : « أما القصة الثـــانية فقد رواها لى عريس جاءنى ومعه « بؤجة ملابس » وقد أصر على

احضارها حتى أصدقه قال : تزوجتها بعد قصة حب عصفت بعقلى وقلبى وجوارحى .. لحببتها اكثر مما يحب قيس ليلاه وروميو جوليته ، كانت جارتى فى الحى وزميلتى فى الدراسة وكل شىء فى دنياى ، وكانت هى ايضا تبادلنى الحب ولكنها كانت قاسية يحلو لها أن تثير غيرتى وتغيظنى ومع ذلك كنت اتحمل الدلال و « التقل » والعذاب والغيرة من أجل عيونها .. انها جميلة رشيقة انيقة دمها شربات .

وكنت اغار عليها من النسمة وتم الزفاف ، وتصورت أنى ساكون اسعد انسان فى الوجود ، ولكن رحلة الشقاء بدأت بعد خروج المأذون .. ورغم اننى كرست كل جهودى ووقتى وفلوسى لراحتها وسعادتها ، ظلت تثير غيرتى وتتعمد غيظى وتحرص علي عنادى . حتى اذا اشتريت لها هدية لاتشكرنى واذا صحبتها فى نزهة عادت مكشرة ، واذا طلبت منها كوب ماء رفضت وخاصمتنى ، وفى يوم من الأيام جاءت لزيارتنا والدتى واخوتى ومعهم هدايا معظمها لعروسى ، وبدلا من أن ترحب بهم دخلت غرفتها واغلقت الباب .. واضطررت أن اكذب وازعم انها مريضة ، وبعد خروجها سألتها برقة لماذا تحرجيننى يا حبيبتى ؟ فاذا بها تغضب وتفتح الدولاب وتجمع ملابسى وتضعها فى هذه البؤجة وتطردنى شر طردة . هل هذا يصح ؟

وعلقت المحررة على هذه القصة التى تمثل الزواج العاطفى الذى يعتمد على المظهر دون الجوهر بقولها :

« واضح أن زواج هذا الشاب قام على الوهم فهو لم يدرك أن العاطفة الملتهبة اساس هش للزواج سرعان ما يتحول الى كوم من رماد .

وواضح أيضا أن « ليلاه » فتاة « هايفة » تعتبر الزواج دلالا وعنادا ولا شك أن مثلها تحتاج الى صفعة قوية تعيدها الى صوابها ..

تحتاج الى زوج يحترم نفسه قبل كل شيء ولا يضيع عمره في الآهات ..

لو أن زواجك يا سيدى قام على الاحترام وهو الخرسانة المتينة التى تمتد فى الأعماق لما حضرت الآن ومعك « بؤجة هدومك » (٢) .

ولا أعلق على هذه المهزلة الا بقول القائل « كم من امرأة جميلة تراها أصفى من السماء ثم تثور يوما ، فلا تدل ثورتها على شيء الا كما يدل المستنقع على أن الوحل فى قاعه » .

وفى نفس الزاوية جاءت هذه القصة : تقول الكاتبة :

« روى لى طبيب مرة ما حدث لابنه عندما سافر الى الخارج فقال: فى الشهر الأول أرسل اليه خطابات يتحدث فيها عن جمال وذكاء وحرية الفتيات فى « بلاد برة » وبعد شهور أرسل الى أسرته يزف لهم نبأ هيامه باحدى هؤلاء الفتيات ورغبته فى الزواج منها ولم يستطع والده أن يعترض وتم الزفاف فعلا ، ولكن لم يمض عام واحد حتى أرسل الشاب المصرى يقول لأسرته : انه قرر الانفصال عن زوجته والسبب انها غابت يومين من البيت ولما عادت قالت له ببساطة : انها كانت فى صحبة بعض الاصدقاء — لا الصديقات » (٣) .

وفى جعبتى الكثير من هذا النوع من الزواج ولكن فى هذا القدر كفاية .

***

(٢) الاخبار ١٩٨٣/١١/٢٧ (٣) الاخبار ١٩٨٥/٣/١٧

الحب بعد الزواج

وتسالوننى : هل يستمر الحب بعد الزواج ؟

اجيب عليكم : بنعم — نعم — يستمر على شرط ان يشترك الزوجان فى رعاية شجرة الحب وتعهدهـــا وســـقيها بالمعاملة الرقيقة ، والكلمة الحانية ، والبسمة الراضـــية ، والاحترام المتبادل ، والتجاوز عن الهفوات وان يعيد كل من الطرفـــين النظر فى خياله المجنح الذى ربما صور له شريك حيـــاته على انه ملك من ملائكة العالم العلوى .

واذا كان بعض علماء النفس والاجتماع يقولـــون : « ان التعود يقتل الحب ، وان امتـــلاك الانســـان للشىء يقلل من اغرائه » .

فاننى اقول:ان المعنى بهذا المعنى هو الحب الذى يقوم على معانى الجنس فقط ، اما الحياة الزوجية التى تقوم على الحب فى الله مزدانة باشراقة الروح ونقاء القلب ، فان هذا الحب لا يمكن ان يموت لانه يحمل بين طياته سر بقائه .

فقط تحتاج الحياة الزوجية الى نوع من التوابل التى تنبه هذا الحب وتجدده وتستثيره ليبقى محتفظا بنضارته وحيويته المتجددة .

فالكلمة الرقيقة التى يهمس بها الـــزوج فى اذن زوجتـــه تسرى فى كيانها كما تسرى قطرات الماء فى الزهـــرة الظمآى ؛ لتجعلها اكثر نضارة وحيوية وتالقا .

ولا بد ان يفطن الزوج الى ان ما قد يعتقده من هذه الامور شيئا هينا هو عند المراة شىء عظيم .

جاء فى دائرة المعارف للقرن التاسع عشر عن المرأة :

« انها ذات حساسية حادة تتأثر بغاية السهولة بالفرح والخوف والحزن لأن تركيبها الجسمانى يقرب من تكوين الطفل وانها لذلك تقرب من مزاجه ، فهى تحب كل شىء لامع ، وكل ما يزينها ويزيد من جمالها ، وحبها للزينة هام بالنسبة لوظيفتها الاجتماعية وهى الوظيفة التى لا يمكن أن تؤدى الا بالجاذبية ، ولذلك فان كل شىء ينفع للزينة يؤثر عندها تأثيرا شديدا لا تقاومه إلا بصعوبة » (١) .

وصدق الحق — تبارك وتعالى — اذ يقول : « **أو من ينشؤا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » (٢) .**

ويقول الدكتور فردريك فى كتابه «حياتنا الجنسية » :

« تظل المرأة محافظة على معالم الطفولة لا فى جسمها فحسب ، بل فى طباعها وحالتها النفسية ، وهى لو اختلفت وجوه شبهها عن الطفل كثيرا لما استطاعت أن تكون أما صالحة ، فهى تفهم متطلبات الطفل بسبب شعورها الطفولى بينما يبتعد الرجل عن عقلية ومحيط الطفل بسبب تطوره الذهنى .

« أما هى فتبقى كالطفل تستوعب أكثر مما تكون خلاقه .. جنانها يزيد على تفكيرها ، وحدسها يقظ أكثر من حياتها الذهنية اذ هى مكونة لتتحمل وتقاسى أكثر مما تتصرف ، قابلة للخضوع أكثر من السيطرة ، عينتها العناية

---

(١) المرأة بين التبرج والتحجب للاستاذ محمد أحمد السباعى
(٢) الزخرف : ١٨

الالهية متوسطة ما بين الزوج والطفل وهكذا تحتل فى العائله المركز الأول لتحافظ على الانســـجام بين افراده المختلفى النزعات » .

وهذه واحدة من بنات جنسها تعبر عن طبيعة المرأة التى أكدها القرآن ثم العلم .

تقول « مارى أرجنتون » : « ان كل بنات جنســـنا مهما كن متعقــلات يرضـــيهن من أزواجهـــن أمور فى الحقيقة صغيرة كمثل نظرة ، أو قبلة عند الوداع ، أو حديث رقيق ، أو لمسة تحبب ، أو باقة زهر ، والرجل الذى يحســـن هـــذه الحالات البسيطة تغفر له المرأة ذنوبا كثيرة ، ويسرها أن ترى الغيرة ما دامت ترى فيها آثار الحب الصادق اذ لا تقدر المرأة أن تعيش بلا حبيب » (٣) .

وكما يحب الرجل من زوجتـــه جمـــال هيئتها ، وابداء زينتهـــا ، فان لها تمـــاما مثل ما له « **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة** » (٤) هى درجة القوامة.

قال يحيى بن عبـــد الرحمن الحنظـــلى : أتيت محمد بن الحنفية فخرج الى فى ملحفة حمراء ، ولحيته تقطر من الغالية (نوع جيد من الطيب) فقلت : ما هذا ؟ قال : ان هذه الملحفة ألقتها على امرأتى ودهنتنى بالطيب ، وأنهن يشـــتهين منـــا ما نشتهيه منهن » .

(٣) الحب ، للاستاذ رضا كحالة .
(٤) البقرة : ٢٢٨ .

وقال ابن عباس — رضى الله عنهما — : « انى احب ان اتزين لامراتى كما احب ان تتزين لى » .

واذا كنا قد توجهنا الى الرجل بهـذا الحديث فان دور المراة يعظم عن دور الرجل فى الحفاظ على توازن الحيـاة الزوجية وسعادتها .

فالمراة العاقلة هى التى تسـبغ على الحيـاة الزوجية فيضـا من الحنـان من نبع عواطفها الثرار ، فهى ان لم تكن سكنا للرجل والأولاد كما ارادها الله ، افترشت الأسرة كلها الغبـــراء ، والتحفت بالسماء ، وعصـــفت بها أعاصير الشـــقاء ..

ومن أساليب القضاء على الملل الذى يعترى الحيـاة الزوجية أن تبدو المراة فى كل يوم انسانا جديدا حتى لا يكون ذلك التعود الذى يقلل من سحر المراة وفتنتها .

يقول الكاتب الفرنسى « اندريه مروا » : « ان الزواج الناجح هيكل يجب اعادة بنائه كل يوم »

وتقول « مارسيل بريفو » : « الحب عاطفة تصدر عن القلب ولكنها سرعان ما تضمحل وتموت تحت ضغط الحياة اليومية ان لم تقترن بعقل راجح يعرف كيف يوجههـا وتلك نكبة الزواج » .

وقبل أن يجهـد الكتاب والفلاســـفة قرائحهم ويكدوا اذهانهم فى الوصول الى هذه الحقائق ، فاننا نجد كل هـذه المعانى تترجم سلوكا عمليا فى شخصية رسول الله صـلى الله عليه وسلم .

فقد كانت عائشة اذا هويت شيئا لا محذور فيه تابعها

عليه وكانت اذا شربت من الاناء أخذه فوضع فمه فى موضع فمها وشرب ، وكانت اذا تعرقت عرقا — وهو العظم الذى عليه اللحم — أخذه فوضع فمه على موضع فمها ، وكان صلى الله عليه وسلم يقبلها وهو صائم (٥) .

وكان صلى الله عليه وسلم يدلل عائشة بترخيم اسمها وكان يقول لها : « يا عائش ، هذا جبريل يقرئك السلام » قالت عائشة : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، وهو يرى ما لا أرى (٦)

قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء ، فقال لى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اتحبين أن ترى لعبهم ؟ قالت ، قلت : نعم . فأرسل اليهم فجاءوا . وقام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بين البابين فوضع كفه على الباب ، ومد يده ووضعت ذقنى على يديه وجعلوا يلعبون وانظر ، وجعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : حسبك ، واقول : اسكت . مرتين أو ثلاثاً . ثم قال : يا عائشة « حسبك » فقلت : نعم . فأشار اليهم فانصرفوا » (٧) .

وتقول عائشة رضى الله عنها : « سابقنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم فسبقته حتى اذا أرهقنى

---

(٥) انظر زاد المعاد لابن القيم
(٦) متفق عليه .
(٧) رواه البخارى ومسلم والنسائى

اللحم سابقنى فسبقنى ، فقال : هذه بتلك » (٨) .

وهذا الحديث القليل فى مبناه ، الضخم فى معناه يستحق منا أن نقف عنده مليـا لنرشـف من رحيقـه الصـافى وادبه العالى ، ولنصحح بعض المفاهيم الخاطئة التى تضاف الى أرصدة المسلمين اليوم .

هل علمت فى أية ظروف وقعت مسابقة رسـول الله — صلى الله عليه وسلم — لعائشة ؟ لقد وقعت فى سـفر كان الصحابة فيه مع النبى — صلى الله عليه وسـلم — فقـال لهم : تقدموا ، فتقدموا وتركوه مع زوجته ..

النبى .. خير من حملت الغبـراء واظلت السـماء .. النبى .. العظيم القدر .. الكبير النفس ، الواسع الصدر يمازح زوجته ، يريد أن يجبر خاطرها ويرفع من روحهـا ، ويكسر « روتين » الحياة الزوجية .. يريد أن يضع بعض المشهيات التى تجعل للحيـاة الزوجية طعما ، ليشـحنها بالعواطف النبيلة حتى تواصل سيرها بأمان تحت سـماء الحب الكبير .. فيقول لزوجته عائشة « سـابقينى » ، متسـابقة ، ولعله فى المرة الاولى تظاهر بانه لا يقدر على اللحاق بها كنوع من المداعبـة البريئة التى تزكى أحاسيس الحب ومشاعر المودة والرحمة .

بأبى انت وأمى يا رسول الله ، لم تشغلك الرسالة على ضخامتها ، ولا معارك الاسلام على جسامتها ، لم يشغلك ذلك عن حقوق زوجاتك عليك فتنزل الى مستوى عقولهن

---

(٨) رواه أحمد وابو داود .

وتخاطب المرأة باللغة التى تحسن فهمها .. ولولا أنك نهيت عــن اطـــرائك لقلت : « **مـــا هـــذا بشرا ان هذا الا مـــلك كريم** » (٩)

صلوات ربى وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله .

نعم : قد يختلف الزوجان على بعض الأمور ، وهذا أمر طبيعى يحدث بين كل زوجين ، وكان يحدث فى بيت رسول الله — صـــلى الله عليه وســـلم — ولكن الذى أود أن ألفت النظر اليه هو أن يكون هناك حد أدنى فى استعمال الألفاظ والتصرفات .. هذا الحد لا يجوز تجاوزه بحال .

جراحات الســـــنان لها التئـــــام
ولا يلتـــام ما جرح اللســـــان

أما سياسة نسف الجسور بين الزوجين بفعل أحـــدهما فهو تصرف أرعن وأحمق ، وقد تصيب من الحيـــــاة الزوجية مقتلا ، أو تترك فيها جرحا لا يندمل .

فالعاقل من ترك للصلح موضعا والأحمق من نسف معابر المودة التى لا حياة للزوجين الا فى ظلها .

قال تعالى : « **وعاشروهن بالمعروف** » (١٠)

وقال أيضا : « **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة** » (١١)

---

(٩) يوسف : ٣١ (١٠) النساء : ١٩
(١١) البقرة : ٢٢٨

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر » (١٢)

والى جميل اخلاق العلماء نلتقط هذا المشهد الايمانى من تفسير القرطبى . يقول : كان الشيخ احمد ابو محمد بن ابى زيد من العلم والدين فى المنزلة والمعرفة ، وكانت له زوجة سيئة العشرة وكانت تقصر فى حقوقه،وتؤذيه بلسانها . فيقال له فى أمرها ، ويعذل فى الصبر عليها ، فكان يقول : أنا رجل قد اكمل الله على النعمة فى صحة بدنى ومعرفتى وما ملكت يمينى ، فلعلها بعثت عقوبة على ذنبى فأخاف ان فارقتها ان تنزل بى عقوبة اشد منها .

وعظم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من حق الزوج فقال : « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها . » (١٣)

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه

والآن اصحبكم فى رحلة عبر التاريخ لنقرا نماذج رائعة عن الحب الحلال :

تزوج عبد الله بن ابى بكر الصديق بعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت حسناء جملاء ذات خلق بارع ، سمحة الخلق ، اديبة شاعرة ، تقرى العين جمالا والأذن مقالا .

---

(١٢) رواه مسلم وغيره (١٣) رواه الترمذى

وكان عبـــد الله يقضى جل وقتـــه فى الحديث معهـــا والأنس بهـــا .

وذات يوم مر عليه أبوه ابو بكر الصديق وهو جالس فى علية يناجى زوجته ، وأبو بكر متوجه الى صـــلاة الجمعـــة ، فصلى ابو بكر ثم رجع فوجده لا يزال جالســـا مع زوجتـــه يناغيهـــا ، فقال له أبو بكر : يا عبـــد الله ، اجمعت ؟ قال : أو صـــلى الناس ؟ قال نعم . قال له ابو بكر : ان زوجتك قد شغلتك عن مغازيك ومعاشك وتجارتك والهتـــك عن فرائض الصلاة طلقها . فطلقها عبد الله طلقة رجعية وهو كاره .

وبينا أبو بكر يصلى على سطح له فى الليل اذ ســـمع عبد الله يرسل بزفرات أنفاسه الحارة شعرا لحزنه على فراق زوجتـــه :

اعاتك لا انســـاك ما ذر شـــارق
وما ناح قمرى الحمـــام المطوق
أعاتك قلبى كل يوم وليـــلة
لديك بما تخفى النفـــوس معـــلق
لها خلق جـــزل ورأى ومنطق
وخلق ســـوى فى الحياة ومصدق
فلم أر مثـــلى طلق اليـــوم مثلها
ولا مثلها فى غير شىء تطـــلق
ولولا اتقـــاء الله فى حق والد
وطاعته ما كان منـــا التفـــرق

ويسمع (أبو بكر) شعر ابنه عبد الله فى زوجته فأشرف عليه وقد رق له ، فقال : يا عبد الله : راجع عاتكة ، فقال : اشهد أنى قد راجعتها .

وأشرف عبد الله على غلام له يقال له «أيمن» فقال له : يا أيمن ، أنت حر لوجه الله تعالى — اشهدك أنى قد راجعت عاتكة ، ثم خرج اليها يجرى الى مؤخر الدار ، وكان مما قاله فى ذلك الحين :

أعاتك انى لا أرى فيـك سـقطة
وانك قد حلت عليك المحاسـن
وانك ممـن زين الله أمـره
وليس لمـا قد زين الله شـائن

ويشـهد عبد الله مع النبى — صلى الله عليه وسلم — غزوة الطائف فيصـيبه سـهم فيموت بالمدينة ، فتعزف على قيثارة الحزن هذه الأبيات :

رزئت بخـير الناس بعد نبيهـم
وبعـد أبى بكر وما كان قصرا
فآليت لا تنفك عينـى حزينـة
عليك ولا ينفك جـلدى اغبرا
مدى الدهر ما غنت حمـامة أيكة
وما طرد الليل الصـباح المنورا
فلله عينـا من راى مثله فتـى
أكر وأحمى فى الهياج وأصـبرا
اذا شرعت فيه الأسـنة خاضـها
الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا (١٤)

---

(١٤) الأصل فى الأغانى للأصفهانى ، وذم الهـوى لابن الجوزى ، والمستطرف للأبشيهى .

ارايت كيف كان الحب ؟ وكم كانت تعشق المراة العربية فى الرجل ؟

انها كانت تعشق فيه صـــفات البطولة والرجولة ولو ابتلعته الحرب العوان .

ارايت بم رثت عاتكة زوجها ؟ لقد رثته بسمات الفروسية فى غمار الحرب وفى مستنقع الطعن والضرب ولم تذكر جماله ودلاله ونعومة يديه وشعره « الخنافس » وقلادة النســـاء فى عنقه وحذاءه ذا الكعب العالى ..

***

ومثل عاتكة فى رثاء زوجها هذه الفتاة التى ترثى زوجها ولم يكن دخل بها بعد ، تقول :

ابكى لا للنعيـــم والانس
بل للمعـــالى والرمح والفرس

ابكى على فـــارس فجعت به
أرملنى قبـــل ليـــلة العرس

يا فارســـا بالعـــراء مطرحا
خانتـــه قواده مع الحـــرس

من لليتـــامى اذا هم ســـغبوا
وكل عـــان وكل محتبس

***

وحكى الأصـــمعى عن رجل من بنى ضبة قال : ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها حتى اتيت بلاد بنى ســـليم فلما كنت فى بعض أحومها اذا جارية غشى بصرى اشراق وجهها ، فقالت : ما بغيتك ، فانى أراك مولها ؟ قلت : ابل ضلت لى فأنا فى طلبها ، قالت : افتحب أن أرشدك الى من هى عنده ؟ قلت : نعم ، فقالت : الذى أعطاكهن هو الذى أخذهن ، فان شـــاء ردهن ، فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختيار .
فأعجبنى ما رأيت من جمالها وحسن منطقها ، فقلت لها : هل لك من بعل ؟ قالت : كانَ والله ، فدعى فأجاب الى ما منـــه خلق ، ونعم البعل كان .. قلت لها : فهل لك فى بعل لا تذم خلائقه،ولا تخشى بوائقه — يعرض عليها الزواج — فاطرقت ســـاعة (١٥) ثم رفعت رأسها وعينـــاها تذرفان دموعا ، وأنشأت تقول :

كنا كغصنين من بان غـــذاؤهما
ماء الجداول فى روضات جنات
فاجتث صاحبها من جنب صاحبه
دهر يكر بفـــرحات وتـــرحات
وكان عاهدنى أن خاننى زمن
الا يضـــاجع أنثى بعد موتات
وكنت عاهدته أيضـــا فعاجله
ريب المنون قريبا مذ ســـنينات
فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه
عن الوفاء له خلب التحيات (١٦)

---

(١٥) الساعة : جزء من أجزاء الوقت وان قل .
(١٦) أخبار النساء لابن القيم .

وحكى الاصمعى ايضا قال : خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلب بن ابى صفرة متنزهين من دمشق ، فمرا بجبانة ، فاذا امراة جالسة على قبر تبكى ، فهبت الريح فرفعت البرقع عن وجهها فكأنها غمامة جلت شمسا .. فوقفنا متعجبين ننظر اليها .. فقال لها ابن المهلب : يا أمة الله هل لك فى أمير المؤمنين بعلا ؟ فنظرت اليهما ، ثم نظرت الى القبر وقالت :

فان تسألانى عن هواى فانه
بملحود هذا القبر يا فتيان
وانى لأستحييه والترب بيننا
كما كنت أستحييه وهو يرانى (١٧)

***

وممن تحدث التاريخ عن روعة وفائهن لأزواجهن نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان بن عفان — رضى الله عنه — وكانت ذات رأى وفصاحة وجمال وكمال .. عرضت نفسها للقتل يوم أن اقتحم الثائرون دار عثمان بن عفان عنوة ، ولما أهوى أحدهم على عثمان بالسيف اتقت السيف بيدها فقطع أناملها ..

وبعد أن قتل عثمان — رضى الله عنه — وقفت يوما على قبره وترحمت عليه ثم انصرفت الى منزلها قائلة : انى رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان فى قلبى فدعت بحجر وكسرت به مقدم أسنانها وقالت : والله لا يقعد رجل منى مقعد عثمان أبدا ..

---

(١٧) أخبار النساء لابن القيم .

ثم أرسل اليها معــاوية بعد ذلك يخطبهــا فبعثت اليــه بأسنانها وقالت : اذات عروس ترى ؟

وقالوا : لم يكن فى النساء أحسن منها مضحكا .

***

وما كان لنا أن نغادر الحديث عن هذه النماذج دون أن نتحدث عن قيس بن ذريح وزوجته لبنى .

كان قيس بن ذريح من سكان بادية المدينة ، وكان رضيع الحسين بن على بن أبى طالب — رضى الله عنهم — اشــتد به يوما حر الهاجرة فاســـتسقى من احدى خيام بنى كعب فبرزت له فتاة ذات جمال رائق وصــوت رخيــم فلما رآها وقعت فى نفســه ، وبعد أن أروى ظماه قالت له لبنى : أتنزل فتبترد عندنا ؟ قال : نعم . ونزل بهم ، وجاء أبوها فنحر له وأكرم نزله ، وانصرف قيس وفى قلبه من لبنى نار لا يطفــأ لهيبها ولا يخبو أوارها ولم يجد أمامه الا الشعر يبثه ما يجيش به صدره ، حتى شاع أمر هذا الحب وذاع وســـارت به الركبـــان .

وعاوده الحنين الى لقاء لبنى ، فذهب لزيارتهم وسلم ، فظهرت له وردت سلامه واحتفت به ، فبثها وجده وشـــكا اليها ما يجد من تباريح الهوى ، وشكت اليه هى مثل ذلك ، فأطالت وعرف كل منهما ما له عند صاحبه .

وانصرف الى أبيه يلتمس عنده ما يســـكن به لوعتــه ويطفىء نار العاطفة المشبوبة بين جوانحه ، فأبى عليه أبوه أن يتزوج منها وقال : يا بنى ، عليك باحدى بنات عمــك فهن أحق بك .

وكان أبوه موسرا ذا مال كثير فأحب الا يخرج ابنه الى غريبة ، فأتى أمه مستعينا بها على أبيه فلم يجد عندها شيئا .

وانصرف قيس يطويه اليأس وينشره الرجاء وذهب الى الحسين وابن أبى عتيق حفيد أبى بكر الصديق رضى الله عنه فشكا ما به ورد أبيه عليه .

فقال له الحسين : انا اكفيك . ومشى معه الى أبى لبنى، فلما علم بقدومه اعظمه ووثب اليه ، وقال : يا ابن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما جاء بك ؟ الا بعثت الى فآتيك؟ قال : ان الذى جئت فيه يوجب قصدك وقد جئتك خاطبا ابنتك لبنى لقيس بن ذريح ، فقال : يا ابن رسول الله ، ما كنا لنعصى لك امرا وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن أحب الامر الينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره ، فانا نخاف ان لم يسع أبوه فى هذا أن يكون عارا وسبة علينا .

فأتى الحسين — رضى الله عنه — ذريحا وقومه مجتمعون فقاموا اليه اعظاما له وقالوا له مثل قول الخزاعيين فقال لذريح : أقسمت عليك الا خطبت لبنى على ابنك قيس ، قال : السمع والطاعة لأمرك ، فخرج معه فى وجوه من قومه حتى اتوا « لبنى » فخطبها ذريح على ابنه فزوجه اياها وزفت اليه بعد ذلك .

فأقامت مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئا ، وكان أبر الناس بأمه فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك ، فوجدت أمه فى نفسها وقالت : لقد شغلت هذه المرأة ابنى عن

برى . ولم تر للكلام فى ذلك موضعا حتى مرض مرضا شديدا فلما برىء من علته قالت أمه لأبيه : لقد خشيت ان يموت قيس وما يترك خلفا وقد حرم الولد من هذه المراة ، وانت ذو مال فيصير مالك الى الكلالة — القرابة — وارى ان تزوج قيسا من امراة غير لبنى لعل الله يرزقه ولدا ، والحت عليه فى ذلك .

فأمهل قيسا حتى اذا اجتمع قومه دعاه فقال : انك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا ولد لك وليس لى ولد سواك ، وان لبنى ليست بولود ، فتزوج احدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولدا تقر به عينك واعيننا . فقال قيس : ولست متزوجا غيرها ابدا ، فقال له ابوه : فان فى مالى سعة فتسر بالاماء ، قال : لا اسوءها بشىء ابدا والله .

فقال له أبوه : فانى أقسم عليك الا طلقتها . فأبى وقال : الموت والله أسهل على من ذلك ولكنى اخبرك خصلة من ثلاث خصال قال : وما هى ؟ قال : تتزوج أنت يا أبت فلعل الله يرزقك ولدا غيرى . قال : فما فى فضلة لذلك . قال : فدعنى ارتحل عنك بأهلى واصنع ما كنت صانعا لو مت فى علتى ، قال : ولا هذه ، قال : فانى أدع لبنى عندك وارتحل عنك فلعلى أسلوها فانى ما احب بعد أن تكون نفسى طيبة انها فى حياتى ، قال : لا ارضى او تطلقها ، فأبى ذلك قيس فكان أبوه ذريح يخرج الى الرمضاء ويطرح نفسه ويقسم انه لا يريم الرمضاء حتى يموت او يطلق لبنى فجاء قوم ذريح والتفوا حول قيس يعظمون عليه الامر ويذكرونه بالله ويقولون له : اتفعل هذا بأبيك وأمك ، وان مات شيخك على هذه الحال كنت معينا على قتله ، ففارق لبنى على رغم أنفه وقلة صبره وبكى حتى بكى لهما من حضرهما .

ولما حضر قومها وارتحلت لبنى معهم سقط مغشيا عليه لا يعقل فلما أفاق أنشد يبكيها :

وانى لمفن دمع عينى بالبكا
حذار الذى قد كان أو هو كائن
وقالوا غدا او بعد ذاك بليلة
فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت اخشى أن تكون منيتى
بكفيك الا ان ما حان حائن

وخرج يمشى بين مضارب قومه يبكيها وهو يقول :

وكلفت خوض البحر والبحر زاخر
ابيت على أثباج موج مغرق
كانى ارى الناس المحبين بعدها
عصارة ماء الحنظل المتفلق
فتنكر عينى بعدها كل منظر
ويكره سمعى بعدها كل منطق

ولما ارتحل قومها أراد ان يتبعها فعلم ان اباها سيمنعه من المسير معها ، فوقف ينظر اليهم ويبكى حتى غابوا عن عينيه فكر راجعا ، ورأى اثر خف بعيرها فأكب عليه يقبله فعنفه قومه على تقبيل التراب فأشار الى التراب يقول :

وما احببت ارضكم ولكن
اقبل اثر من وطىء الترابا
لقد لاقيت من كلفى بلبنى
بلاء ما اسيغ به الشرابا
اذا نادى المنادى باسم لبنى
عييت فما اطيق له جوابا

وحاول أبوه أن يزيل عن فؤاده المكلوم حب لبنى فسعى فى تزويجه،فزوجه بجارية‌حسناء من بنى‌فزارة وادخلت زوجته عليه فما هش لها ولا دنا منها ، وكان قد بنى بزوجته فى ديار الفزاريين لاعجابهم بحديثه وعقله وروايته ، واقام معهم مدة على حاله ثم أخبرهم انه يريد الخروج الى قومه فأذنوا له فى ذلك فمضى لوجهه الى المدينة .

وغاب عنهم فكاتبوه فى ذلك وعاتبوه فارسل الى أخيها — هو الذى قد رغب فيه زوجا لأخته — : يا أخى ما غررتك من نفسى وقد أعلمتك انى مشغول عن كل احد ، وقد جعلت أمر أختك اليك فامض فيه من حكمك ما اردت .

وعندما نزل على صديقه‌الانصارى بالمدينة أعلمه الانصارى ان خبر تزوجه قد بلغ لبنى فغمها وقالت : انه لغدار ولقد كنت امتنع من اجابة قومى الى التزويج فانا الآن اجيبهم .

وكان ابوها قد شكا الى معاوية بن ابى سفيان واعلمه تعرضه لها بعد الطلاق ، فكتب معاوية الى مروان بن الحكم يهدر دمه ان تعرض لها وامر اباها ان يزوجها رجلا يعرف بخالد بن حلزة فزوجت منه .

وعلم قيس فجزع لما سمع جزعا شديدا وجعل ينشج اشد النشج ويبكى أحر بكاء وعندما علم باهدار معاوية دمه ان زارها ، اودع شعره نفثات صدره فقال :

ان تك لبنى قد اتى دون قربها
حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا
ونبصر قرن الشمس حين تزول

وأرواحنا فى الحى بالليل تلتقى
ونعلم انا بالنهار نقيل
وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا
سماء نرى فيها النجوم تجول

وأنتشر شعر قيس فى لبنى وتغنى به المغنون ، ولم يبق احد الا طرب لهذا الشعر .

فدخل زوج لبنى عليها مغضبا وقال : لقد فضحتنى بذكرك فغضبت وقالت له : يا هذا ، انى والله ما تزوجتك رغبة فيك ولا فى مالك ولا خفى امرى عليك فانك تعلم أنى كنت زوجة لقيس قبلك وانما اكره على طلاقى ، ووالله ما قبلت الزواج الا لأن الحاكم قد أهدر دمه اذا الم بحينا ، فخشيت أن يحمله الحب على المخاطرة فيقتل فتزوجتك وان امرك الآن اليك ففارقنى فلا حاجة لى فيك ، فامسك عن جوابها وجعل يترضاها وجمع لها جوارى المدينة يغنين لها بشعر قيس ، ولكنها كانت تزداد تماديا وبعدا ولا تزال تبكى كلما سمعت أخبار قيس .

وما يزال قيس وفيا للعهد فيقول :

كأن بلاد الله لم تكن بها
وان كان فيها الناس وحش بلاقع
اقضى نهارى بالحديث وبالمنى
ويجمعنى والهم بالليل جامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا
لى الليل هزتنى اليك المضاجع
لقد رسخت فى القلب منك مودة
كما رسخت فى الراحتين الأصابع

رق ابن ابى عتيق الى حـال قيس فذهب الى الحسـن والحسين ابنى على بن أبى طالب وعبد الله بن جعفـر بـن أبى طالب — رضى الله عنهم — وجماعة من قريش وقال لهم — مخفيا حاجته — ان لى حاجة الى رجل اخشى ان يردنى وانى استعين بجاهكم واموالكم عليه ، قالوا : ذلك مبذول منا . . فاجتمعوا اليوم الذى وعدهم فيه ، فمضى بهم الى زوج لبنى . فلما رآهم أعظم مصيرهم اليه واكبرهم . قالوا : قد جئنـاك بأجمعنا فى حاجة لابن أبى عتيق فقال : هى مقضية كائنة مـا كانت ، قال ابن أبى عتيق: قد قضيتها كائنة ما كانت من اهل او ملك أومال؟ قال: نعم قال: تهب لهم ولى لبنى زوجتك وتطلقها، قال : فانى أشهدكم أنها طالق ثلاثا ، فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا : والله ما عرفنا حاجته ، ولو عرفنا انها هذه ما سألناك اياها ، فعوضه الحسن من ذلك مائة الف درهم وحملها ابـن أبى عتيق اليه ، فلم تزل عنده حتى انقضت عـدتها ، فسـأل القوم اباها فزوجها قيسا ولم تزل عنده حتى ماتا ، قال قيس يمدح ابن أبى عتيق :

جزى الرحمن افضل ما يجازى
على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخـوانى جميعا
فما ألفيت كابـن أبى عتيـق
سعى فى جمع شملى بعد صدع
ورأى جرت فيه عن طـريقى

وأطفأ لوعة كانت بقلبى
اغصتنى حرارتها بريقى

فقال له ابن ابى عتيق : يا حبيبى امسك عن هذا المديح
فما يسمعه أحد الا ظننى قوادا (١٨) .

ونقتصر على هذه الصور ، لأن حبل الحديث سيطول بنا فى هذا المجال .. والحب بين الزوجين قائم فى كل العصور ، ولكننا تخيرنا أمثلة من الأدب العربى ، لأن هؤلاء الناس أجادوا فى التعبير عن عواطفهم وعواطف المحبين لزوجاتهم والمحبات.

***

(١٨) راجع الاغانى لأبى الفرج الاصفهانى .

شـــهيد الحب

خرج علينا من الذين لايراعون حرمة للكلمات ولا يتحرجون من ذكر الله تعالى ولا الانبياء ولا الملائكة فى اغانيهم و « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

خرج علينا يقول :

قد مـــات شـــهيدا يا ولـــدى
من مـــات فـــداء للمحبـــوب

ويوم أن اذيعت هـــذه الاغنية تلقيت كثـــيرا من أســـئلة الشباب حول حديث منسوب الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو : « من عشق وكتم وعف فمات فهو شهيد ».

وهذا الحديث رواه ابن الجوزى فى الأحاديث الموضوعة. ورواه الخطيب فى تاريخه واعتبره موضوعا .

ومن رواته يحيى القتات وسويد بن سعيد ، وقال الحافظ ابن حجر عن الأول انه لين الحديث وذلك يؤدى الى ضـــعف سند الحديث .

وقال عن الثانى : انه ضعيف ، وعلق العلامـــة ابن القيم على هذا القول المنسوب الى رسول الله — صلى الله عليـــه وسلم — فى كتابيه « زاد المعاد » و « الجواب الكافى » بقوله : « ان هذا الحديث لا يصح عن رسول الله — صـــلى الله عليه وسلم — ولا يجوز أن يكون من كلامـــه ، فان الشـــهادة درجة عالية عند الله مقرونة بدرجة الصديقين ، ولها أعمـــال واحوال هى شرط فى حصولها وهى نوعان : عامة وخاصـــة

« فالخاصة » الشهادة فى سبيل الله . « والعامة » خمس مذكورة فى الصحيح ليس العشق واحدا منها ، وكيف يكون العشق الذى هو شرك فى المحبة وفراغ عن الله ، وتمليك القلب والروح والحب لغيره — تنال درجة الشهادة به .. هذا من المحال فان افساد عشق الصور للقلب فوق كل فساد ، بل هو خمر الروح الذى يسكرها ويصدها عن ذكر الله وحبه والتلذذ بمناجاته والأنس به ويوجب عبودية القلب لغيره .

« فلو كان هذا الحديث كالشمس كان غلطا ووهما ولا يحفظ عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لفظ العشق فى حديث البتة .

« ثم ان العشق منه حلال ومنه حرام فكيف يظن بالنبى — صلى الله عليه وسلم — انه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف فهو شهيد ..

« فترى من يعشق امراة غيره أو يعشق المردان «الذكور» والبغايا ينال بعشقه درجة الشهداء .

« وأنت اذا تأملت الأمراض والآفات التى حكم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأصحابها بالشهادة وجدتها من الامراض التى لاعلاج لها كالمطعون والمبطون والمجنون والحريق والغريق وموت المراة يقتلها ولدها فى بطنها ، فان هذه بلايا من الله لا صنع للعبد فيها ولا علاج لها وليست اسبابها محرمة ولا يترتب عليها من فساد القلب وتعبده لغير الله ما يترتب على العشق .

« فان لم يكف هذا فى ابطال نسبة هذا الحديث الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقلد ائمة الحديث العالمين به

وبعلله فانه لا يحفظ عن امام واحد منهم قط انه شهد له بصحة بل ولا بحســـن . كيف وقد أنكروا على ســـويد — هو راوى الحديث — هذا الحديث ورموه لأجله بالعظائـــم واســـــتحل بعضهم غزوه لأجل هذا الحديث » .

وأنا أقول : نعم من ابتلى بحب امراة فجاهد نفســه وحارب هواه واعتصم بربه ولجأ اليه .. لا شك انه يدخل تحت قوله تبـــارك وتعالى : **« وأما من خـــاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى » (١) .**

وقد تبين لك جليا أن الحديث السابق ليس من كلام النبى — صلى الله عليه وسلم — ولا يشبهه ، والله الهادى الى سواء السبيل .

***

(١) النازعات : ٤٠ ، ٤١

المــاضى

وتسألونى : اذا تورط فتى أو فتاة فى مثل هذه العلاقة ثم رجع وتاب الى الله واناب .. هل يحدث بها خطيبتة أو زوجته مثلا .. ؟

هنا يا شباب ارفع راية الخطر لاحذركم كل التحذير .. فالشاب الذى يصف بطولاته ومغامراته العاطفية مع الآخريات امام خطيبته أو زوجته فانه يحطم نفسه كمثل اعلى فى خيالها ، وسيكون هذا سببا مباشرا فى اصابتها بداء الشك فيه .. فى تصرفاته وحركاته وسكناته وبذلك يكون قد وضـــع الســـم فى حياته لتنتحر انتحارا بطيئا ..

وكذلك الفتاة ــ والموقف بالنسبة لها مرهف وحساس ــ ينبغى عليها الا تتكلم مطلقا بشىء من هذا وان وجه اليها مثل هذا السؤال اجابت بالتعريض « وان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب » (١) ولتستتر بستر الله لها ، فان الرجل لا يمكن بحال من الأحوال أن يتصور أن هذه المراة عرفت رجالا قبله ، وأنه عرفها بعد ما اســـتهلكت عـــواطفها وانـــه يعيش على بقايا الآخرين .

والرجل لا ينسى للمراة زلتها أو سقطتها مدى الحياة ، فان صرحت المراة بشىء من هذا القبيل . . تكون هـــذه الغـــرة

---

(١) التعريض : التورية ، كأن تقـــول : وهل تفعـــل الاصيلة ذلك .. مثلا .

الساذجة بجهلها قد وضعت — باخلاص — مادة متفجرة فى بيتها توشك أن تنسف صرح حياتها من الأعماق ..

واليكم يا شباب توجيهات الاسلام فى هذا المجال تتحدث عنها سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله — صلى عليه وسلم يقول : « كل امتى معافى الا المجاهرين ، وان من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » . (٢)

وعن ابن عمر — رضى الله عنهما — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن ألم بشىء منها فليستتر بستر الله » (٣) .

وعن عبد الله مسعود — رضى الله عنه — قال : جاء رجل الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : انى عالجت امراة من اقصى المدينة فاصبت منها دون أن أمسها فانا هذا فاقم على ما شئت . فقال عمر : قد ستر الله عليك لو سترت على نفسك . فلم يرد النبى — صلى الله عليه وسلم — فانطلق الرجل فأتبعه النبى — صلى الله عليه وسلم — رجلا فدعاه فتلا عليه:

«واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » (٤)

---

(٢) متفق عليه

(٣) أخرجه الحاكم ورواه مالك فى الموطأ .

(٤) هود : ١١٤

فقال له رجل من القوم : يا رسول الله ، اله خاصـــة أم للناس كافة ؟ فقال : « للناس كافة » (٥).

وهكذا يا شباب نجد أن ديننا الحنيف ليس مغرما بالتشهير ولا باثارة الفضائح ولا باقامة الحدود بل انه يعطى الفرصـــة لمن هفا هفوة أو كبا كبوة أن يستأنف حياة جديدة نظيفة ما دام قد تاب الى الله وأناب .

«الا من تاب وآمن وعمل عملا صـــالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما » (٦) .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ما لاح النيران وما كر الجديدان الى يوم الدين .

***

---

(٥) رواه مسلم والترمذى وأبو دواد واللفظ له .

(٦) الفرقان : ٧٠ .

محتـــويات الكتـــاب

كتب للمؤلف

١ — الصلاة الخاشعة — نشر دار الاعتصام

٢ — مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية
تحت أضواء الشريعة الاسلامية — نشر مكتبة وهبة

٣ — دليل الطالب المسلم . — نشر دار وهدان للطباعة

٤ — عاطفة الحب : بين الاسلام ووسائل الاعلام .
— نشر مكتبة وهبة

***

رقم الايداع بدار الكتب
٨٦/٥٨١٦

دار أسوان للطباعة والنشر